الطبعة
الأولى

أشجار الريحان

أشجار الريحان

رواية

رفاعي العسيري

مشروع النشر الحر

الإصدار رقم: 591 أغسطس 2021

رقم الإيداع: 2021/21452

الترقيم الدولي: 978-977-85964-8-9

منشورات دار لوتس للنشر الحر

www.lotusfreepub.com

القاهرة الكبرى: 37 شارع جمال عبد الناصر - فيصل - الجيزة

هاتف / واتسآب: 0237390893 +2 01091985809

المغرب: الدار البيضاء 270 زنقة 16 - حي البركة - مولاي رشيد

هاتف / واتسآب: 0664391261 +212663488377

تصميم الغلاف: إيمان عرفان

تدقيق لغوي: د. حسين السنبختي

إخراج داخلي: أشرف عبد الهادي

كل ما ورد بهذا الكتاب مسئولية مؤلفه من حيث الآراء والأفكار والمعتقدات، وكونه أصيل له غير منقول؛ وأية خلافات قانونية بهذا الشأن لا تتحملها دار النشر، وجميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز إعادة نشر الكتاب أو جزء منه بأية طريقة دون موافقته أو موافقة دار النشر.

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهداء

إلى كُلِّ مَن مَرَّ في حياتِنا وترك أَثَرًا جميلًا: جزاكم الله عنّا خيرَ الجَزاء.

مقدمة

أن تبحث لنفسك عن مخرج من أزمات؛ أصبح أمر ضروري، لأنك أول من وضعت نفسك في تلك الأزمات؛ فلا تلقي باللوم على غيرك، بل حاول أن تطور من نفسك، ولا تتوقف عند حدّ معين.

نحن بشر، نخطئ ونصيب، وعلينا أن نستفيد من أخطائنا. هناك أمور كثيرة قد تشغل بالنا وتؤرق تفكيرنا؛ كالسفر، والغربة عن الأهل، وما قد يسببه ذلك من مشاكل أُسرية عديدة قد تُبنى عليها حياةُ جيلٍ بأكمله، ربما تجني المال من سفرك وغربتك عن الأهل، لكنك حتما ستدفع ضريبة ذلك من سنوات عمرك التي تنقضي ولا تشعر بها إلا إذا وجدت عمرك وقد قارب الأربعين أو الخمسين. قد تجمع المال، لكنك قد تهمل أشياءً أُخرى.

للمجتمع عادات ربما يهملها البعض؛ كميراث البنت أو القطيعة بسبب الميراث.

ربما يطغى المال على العلم فتجد الاهتمام أكثر بجمع المال وعدم الإعلاء من قيمة وشأن العلم.

عادات وتقاليد بعضها يتحكم في زواج البنت ورضوخها لرغبة الأهل؛ فتظل طيلة حياتها غير مقتنعة به، ناهيك عن المبالغة في المهور ومقارنتها بأخريات.

جمع المال بشتى الطرق والصراع عليه، ربما تجمع الكثير دون أن تنتقي مصادره، لكنك في لحظة معينة قد تفقد ما جمعته.

أن تربط حياتك بحياة إنسان، أو تربط نفسك بفكرة يصعب عليك تحقيقها مهما حاولت؛ قد يفقدك ذلك الكثير من سنوات عمرك وأنت تبحث عنها غير هانئ البال.

أن تستسلم للظروف وتجعلها تتحكم فيك كيفما شاءت؛ قد يفقدك ذلك متع الحياة.

نعم نخطئ كثيرا إن تركنا أنفسنا في مهب الرياح، تقلّبها كيفما تشاء.

نخطئ كثيرا إذا أسقطنا صفات ملائكية على أجساد بشرية، فيبقى البشر بشرا، والملائكة ملائكة.

كبوات عديدة نتعرض لها في حياتنا قد نكون نحن من صنعناها، وقد تكون فُرضت علينا، وقد نكون ضحاياها.

للريحان رائحة طيبة، تشعرك بالراحة، لكنك إن بحثت داخله؛ ستجده مُرًّا. هكذا هي بعض سنوات العمر وبعض البشر.

نفسك أنت سيدها، فمهما تعثرت فعليك ألا تستسلم للكبوات والأخطاء وتجارب الفشل في حياتك، لأنك من دونها لن تتعلم أصول لعبة الحياة وفنون العيش فيها.

في أشجار الريحان بعض من سلبيات المجتمع، نعرضها؛ علّنا نتعلم من تلك الأخطاء وننتبه إليها.

ربما الرواية لَم تتطرق لطرق العلاج، إلا أنها تركت مساحةً للقارئ ليشارك أحداثها بفكره، ويبحث لها عن علاج.

تأكد من أنك في نعم من الله، وأن الشيطان يريد أن يجعلك ساخطا على تلك النعم؛ حتى لا تحمد الله وتشكره عليها.

الحياةُ دروسٌ وتجاربُ، نعرض البعض منها، والعاقل مَن يعيها ويتعلم منها.

هي الحياة أفراح وأحزان، هي الذكرى والنسيان.

قد يعرف الفرح طريقا، لكن سرعان ما يضل المكان. خاب مَن أمن الزمان.

عزفت على أوتار القلب أعذب الألحان.

فطرب الوجود وتراقص

الطير على الأفنان.

لَم يدرِ أنها حكايات ألف ليلة

والعاشق الولهان.

والشوق إليها في القلب

أتعبه الكتمان.

هي أمواج البحر في مدِّها

وجزرها يزيد الوصال.

عيناها كالزمان والمكان

لا تدومان على حال.
فيهما ليلى وعبلة وبثينة
وعزة، وفوز في ترحال.
لوعة الحب والأشواق
فيها أن تبحث عن مُحال.

رفاعي العسيري

ملخص تعريفي للرواية

بقلم هالة جاد

اَشْجَارُ الرَّيْحَانِ.

وَهَلْ هُنَاكَ أَشْجَارٌ لِلرَّيْحَانِ؟ مَا هَذَا الْعُنْوَانُ الْغَرِيبُ!

نَعَمْ هُوَ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّكَ لَنْ تَتَعَجَّبَ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ الرَّيْحَانَ بَاقٍ فِينَا عَلَى هَيْئَةِ جِبَالٍ مِنْ الْعَادَاتِ وَالتَّقَالِيدِ الْقَبَلِيَّةِ بَيْنَ الصَّوَابِ مِنْهَا وَالْخَطَأ.

وَلَنْ تَنْدَهِشَ إِذَا أَدْرَكْتَ أَنَّ الرَّيْحَانَ الْعَطِرَ وَرَائِحَتَهُ الَّتِي مِنْ رَوَائِحِ الْجَنَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ مُرٌّ كَمَا صَبْرُنَا عَلَى تِلْكَ الْعَادَاتِ.

وَنَبْقَى نَتَقَلَّبُ بَيْنَ قَسْوَةِ الْأَيَّامِ، وَجَفَاءِ الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ وَالْقُوَّةِ وَاللِّينِ.

فَهَلْ سَيُخَفِّفُ عِطْرُ الرَّيْحَانِ عَلَيْنَا هَجِيرُ الظُّلْمِ أَمْ سَنُضِيفُ مَرَارَتَهُ إِلَى مَرَارَةِ الْأَيَّامِ؟

الفصل الأول

أول كلامي
هصلي على الزين
محمد شفيع البرايا
بذكره ترتاح العين
وتنول النفس العطايا
ويا ساقية إروي بدموعي
ورد نبت شوك في الحشايا
والحزن سكن ضلوعي
ورَمِّل كُلّ الصبايا
وفين رجوعك ولا رجوعي
وراحت فين الحكايا

تدور الساقية بقرية بطن الجبل إحدى قرى محافظة سوهاج، قرية صغيرة على الجانب الغربي لنهر النيل، يحدّها النيل والجبل مِن ناحية الشرق، ومِن الغرب الصحراء، حيث تنسدل المياه لتروي قرابة الخمسين فدّانا، تجري المياه في جدول صغير لري بعض القطع الزراعية المقسمة على بعض الأهالي، والتى يبلغ ملك الفرد فيها قرابة الثلاثة أفدنة، تجري المياه وهي تروي بعض الحقول، كُلّ حقل على حسب دوره، البعض تم ريه والآخر في الانتظار، المنظر العام للون الأخضر يبعث في النفس رائحة وبساطة وسرور، الحياة هادئة حيث لا ضوضاء ولا ضجيج ولا زحام، المنازل منتشرة على الزراعات، حيث تنتشر في ربوعها عائلة أولاد الجارحي: تلك العائلة الكبيرة التي ترتبط بالعديد من صِلات القرابة والمصاهرة مع باقي عائلات القرية.

يعيش عبد العظيم ووالدته شام وأخوه تهامي وأخته زينة، وكان عبد العظيم قد ترك الدراسة وقرّر السفر إلى الخارج؛ في محاولة منه لزيادة دخل الأسرة وتحسين مستواهم الاجتماعي، خاصة بعد شعوره بالمسؤولية بعد وفاة والده، فقد قرر ترك تعليمه بعد أن أتم الدراسة الثانوية.

سافر عبد العظيم إلى إحدى الدول العربية، وفضّل أن يُكمل أخوه تعليمه، دخل أخوه تهامي إحدى الكليات النظرية. أما عبد العظيم؛ بعد مكوثه قرابة العامين في الخارج عَرضَت عليه والدتُه شام أن تخطب له ابنة خالته، وبعد اقتناعه تزوج منها، ومكث معها قرابة الشهرين، وحملت منه، وبعد انقضاء فترة حملها؛ أنجبت طفله الأول جارحي.

عاد عبد العظيم إلى بلدته مرة أخرى بعد أن قضى في غربته عامين آخرين. هكذا كانت حياة عبد العظيم؛ سفر دائم، وإجازة قصيرة وسط الأهل.

أما الجارحي؛ فكان أول طفل في تلك الأسرة، نشأ كطفل مدلل من جدته شام وعمه تهامي؛ فكان لا ينقصه شيئا سوى وجود والده.

أما المنزل الذي كانوا يقطنون فيه؛ فكان من الطوب اللبن، ولَم تكن الكهرباء قد دخلته، وكانوا يستخدمون مياه «الطرمبات» الأرضية الجوفية في الشرب.

كانت شوارع القرية صغيرة وترابية، تحيط بها أشجار النخيل والمانجو.

أما المنزل؛ فقد كان يوجد به ما يُسمى بالـ «كانون» أو «الموقد» للطبخ، والفرن البلدي الذي كان يصنع من الطين بعد حرقه للخَبْز فيه. كانت تستخدم أيضا ما تُسمى بالـ «صومعة» لحفظ الطَحين، وكانت أغلب الأواني من الفَخّار، والقليل جدّا من المعدن.

كانت إنارة المنزل بمصابيح الكيروسين، أو الجاز، أو ما يُسمى بالعاميه «غاز»؛ وهو من مشتقات البترول، بخلاف غاز اليوم الذي يستخدم في «البوتجازات» الحديثة، بدأت تتطور تلك الأدوات إلى لمبات إنارة زجاجية تعتمد أيضا على الجاز، وبدأ يُستخدم أيضا ما يُسمى «بالإسطفة» أو «وابور الجاز» في إعداد الطعام.

الجارحي كان يذهب مع عمه دائما إلى المدينة، وبخاصة الجامعة، فقد كان عمه كثيرا ما يعوضه عن سفر والده.

أحب الجارحي عيشة أهل المدن والفسح والرحلات في الجامعة، ولما

دخل المرحلة الابتدائية كان من التلامذة الأوائل في الإبتدائية، وكان دائما ما يجيب على أسئلة معلميه، كان يذهب للمدرسة كُلّ يوم ويعود مثقلا بكمية الكتب التي كان يحملها على ظهره، ويشكو لعمته ووالدته أن معلمته طلبت منه أن يكتب كمية واجبات كثيرة كانت تثقل ذراعه.

مرت الأعوام ودخل المرحلة الإعدادية، ثُمّ تخرج عمه وعاد والده من الخارج، أما عمته زينة؛ تزوجت زواجا تقليديا، فقد كان زواج البنت على سمعة أهلها وإخوتها وعائلتها، وكثيرا ما رفض إخوتها زواجها من عائلات لم تكن ككبر عائلتها من حيث النسب والقوة والعدد والجاه.

أما عمه تهامي؛ فبعد أن أنهي دراسته؛ قرر الزواج، ثُمّ طالب بميراثه في والده من أخيه عبد العظيم، لكن أخاه عبد العظيم رفض أن يعطيه ميراثه في البداية قائلا: «أنا ما كملت تعليمي وإنت كملت تعليمك وهتتوظف، وأنا قضيت عمري مسافر؛ يبقى الوظيفة مقابل الأرض.»؛ ومن هنا بدأ الشجار بين الإخوة.

أما البلدة؛ فقد بدأت تتطور أكثر من ذي قبل، وبدأت تدخلها الكهرباء، وتكثر بها المستشفيات والمدارس والمصالح الحكومية ومياه الشرب وجميع المرافق الحديثة، وبدأ شكل المنازل يتغير من الطوب اللبن إلى البناء بالطوب الحراري والإسمنت. فبُنِيَ المنزل على طراز أحدث من ذي قبل، ودخلته الكهرباء ووسائل المعيشة الحديثة.

دخلت الوسائل المعيشة الحديثة، لكنها لم توفر جو الحب، بدأ الاهتمام بالماديات أكثر، كلٌّ يفكر في نفسه، الأخ بدأ في التفكير في تكوين أسرة له،

وأخوه كان ينتظر منه أن يساعده في تربية أبنائه؛ مثلما فعل هو مع تهامي: «يامه كلمي عبد العظيم خليه يديني حقي.».

وجهت الأم حديثها لابنها عبد العظيم:

«يا عبد العظيم إدي حق أخوك يا ولدي»

عبد العظيم: «اللي كمل تعليمه حقه وصله.».

ثُمَّ بدأ الشجار بين الاثنين والقطيعة بينهما.

والدة عبد العظيم: «يا ولدي إدي نصيب أخوك في الأرض.».

ويرد عليها عبد العظيم: «هو مالوش عندي حاجة وحقه صرفه في تعليمه.».

تدّخَل بعدها رجال العائلة ولجان من الصلح؛ وقاموا باحتساب جزء من الميراث لتكلفة سفر تهامي إلى الخارج، وزواجه، وأعطوه الجزء الآخر المتبقي له من ميراثه.

أما الجارحي؛ فقد كان متعلقا بعمه ويحبه كثيرا، وكان يرافقه إلى النوادي والمتنزهات وحياة المدينة، لكن بعد هذه الواقعة؛ كان يخاف من والده فقاطع عمه مثلما فعل والده؛ فغاب عنه حنان العم والجدة، ووجد سوء معاملة من والدته ووالده، فلم يكن قد اعتاد على طباعهما.

كانا يطلبان منه العمل في الأرض لمساعدة والده عبد العظيم، وهو كان يحب التعليم ويكره العمل في الأرض ، كما كان يخشى أيضا من جفوة والده، فكان لا يشعره بالحنان، بل عندما كان يدخل والده عبد العظيم المنزل كان كثير الغضب والصوت العالي وإعطاء الأوامر التي لا بد أن

تُنفَذ. كان عدم عمل الجارحي مع والده في الحقل يُشعِر والده أن ابنَه ابنٌ فاشلٌ، ونسيَ تفوقه الدراسي.

أما الابن؛ فكان يهوى الدراسة والمذاكرة، ويرغب في دخول الجامعة مثل عمه.

كانت الحياة شديدة القسوة، وكل شيء عيب وحرام، عيب أن تقول كلاما لينا وطيبا، عيب أن تتكلم في حضور الأب، عيب أن تتكلم في مجلس الكبار، عيب أن تضحك بينهم، عيب أن تعبر عن رأيك، عيب أن تسمع كلاما لينا، عيب أن تتكلم مع بنت أو امرأة. حتى التقدم لخطبة فتاة؛ كان عيب أن يتكلم معها قبل أن يتقدم لها، عيب أن يراها، وإنما تذهب والدة العريس لرؤية العروس بناء على إخوتها وسمعتهم، ثُمّ يتفقون على المهر ويتمون الزواج.

كثرت عيال عبد العظيم، وكثرت ديونه؛ فقد كان قد اقترض من أحد البنوك وتعثر في سداد القرض، وبدأ المبلغ يزيد عليه بسبب الفوائد المصرفية «البنكية» التي فاقت أصل المبلغ المقترض بعشر مرات.

كان الجارحي قد دخل المرحلة الثانوية، ولما رأى الأحوال تسوء بوالده؛ قرر ترك تعليمه ومساعدته، لكن والده رفض لأنه كان يريده أن يدخل إحدى الجامعات، فأصر أخوه الأصغر علاء أن يخرج من تعليمه في مرحلته الإعدادية لمساعدة والده. أما عمه تهامي؛ فقد اكتفى بزواجه وتكوين أسرته وبراتبه الخاص من وظيفته، وأنجب أسامة وفراج.

سافر عبد العظيم ومعه ابنه علاء الذي لم يكن وقتها يبلغ الثالثة عشر

من عمره، وكان يساعد والده، وكان محبوبا من إخوته البنات أكثر من الجارحي الذي واصل تعليمه وتفوق في دراسته الثانوية ودخل كلية الطب.

في المرحلة الجامعية كان الجارحي يهتم كثيرا بمحاضراته ويرغب في الحصول على شهادة تخرجه، فما كان يخشاه هو عدم إكمال تعليمه بسبب الظروف التي يمر بها والده، ومع تفوقه في الدراسة بدأت تهتم به إحدى زميلاته في الجامعة بكلية الطب، وجُرْأَتُها وثقافتها وتفوقها جعله يشعر أنها معجبةٌ به؛ فبدأ يكثر من التفكير فيها، والكلام معها في حدود الدراسة، وهي كثيرا ما كانت تهتم بتلك الأمور معه. ومع شعوره بالحنان معها والراحة؛ قرر أن يفاتحها بأنه ينوي أن تظل معه طيلة حياته، خصوصا أنه كان يراها دائما ما تطيل النظر إليه، وترد كثيرا على كلماته بنوع من المرونة والطيبة وخفة الدم، فكثيرا ما كانت تمازحه؛ لذا قرر أن يلمح لها بحبه لها.

تقدم نحوها وارتبك وتلعثَم في الكلام وبدأ جسمه يرتجف، كانت المرة الأولى التي ينوي الحديث فيها مع فتاة بكلام الحب الذي كان يرتبه في عقله فيهرب منه، فلما رأته على تلك الحالة؛ فهمت مراده واحمرت وجنتاها، ثُمّ طالبته بعدم الحديث معها، وبدأت تشعر بالخجل وكأن كُلّ النظرات توجه نحوها، فكانت كأي فتاة تخشى أن يُساء الظن بها ويقال عنها أنه تحب فلان، الأمر الذي قد يؤدى إلى مشكلات قد تصل إلى إراقة الدماء، لكن الجارحي لم يكن يهتم بهذا الأمر، فكان حبها يسيطر

عـلى عقلـه، وأيضـا بسـبب صغـر سـنه، لكنـه وجـد فيهـا الحنـان الـذي ينشـده، ويجعلـه ينسـى ظروفـه ويجعلـه يشـعر بطعـم الحيـاة، فكثـيرا مـا كان يشـعر أنـه مفتقـدٌ للحنـان وأنـه يبحـث عنـه ولا يجـده.

اقترب جارحي من زميلته جنات وأخبرها أنه يريد أن يفاتحها في أمر هام.

الجارحي: «جنات! عاوز أكلمك في موضوع.».

جنات: «موضوع إيه! مفيش بيني وبينك أي حاجة.».

يبـدو أنهـا قـد فهمـت مـا كان ينـوي إخبارهـا بـه؛ فنظـر إلى الأرض وشـعر بحـرج شـديد وأخبرهـا وهـو ينظـر بـالأرض:

«يعني إنتي متأكدة؟».

فـردت عليـه: «أيـوه.. أنـا متأكـدة، لـو سـمحت مـا تمشـيش ورايـا تـاني، وبعديـن يقولـوا عليـا إيـه لـو شـافوني ماشـية معـاك؟»

الجارحي: « يعنى ده ردك؟».

جنات: «أيوه.».

كانـت جنـات تتحـدث بقـوة وجـرأة وتضـع عينيهـا في رأسـه وهـو يشـعر بالإحـراج والخجـل مـن كلامهـا ويضـع عينيـه في الأرض، ثُـمّ انـصرف.

ذهـب إلى الدراسـة في اليـوم التـالي لكنـه لم يتحـدث معهـا أو ينظـر إليهـا مثلـما كان يفعـل، وبينـما كان يسـير في الجامعـة؛ إذ رآهـا تقـترب منـه وتسـلم عليـه، فـرد لهـا تحيتهـا، ثُـمّ بعـد أن سـألته عـن أحوالـه طلبـت منـه الإذن بالانـصراف ثُـمّ انصرفـت.

مـع تلـك المقابلـة السريعـة خفـق قلـب الجارحـي مـرة أخـرى، وبـدأ يفكـر

فيها كثيرا، ثُمّ ذهب إليها أمام القسم الذي تدرس فيه، فلما رأته يقف من بعيد خرجت من مدرج الدراسة قبل زملائها، ربما كانت تعلم ما ينوي فعله، ثُمّ انصرفت فلحق بها الجارحي: «جنات.».

فنظرت إليه وعيناها تملأ وجهَه بحدتها وجرأتها وقد أطالت إليه النظر وردت:

«عاوز إيه؟»

الجارحي: «عاوز أكلمك في موضوع.»

جنات: «أنا مش سبق وقلت لك مافيش بيني وبينك مواضيع.».

الجارحي: «يعني إنتي إيه أخرة معاملتك دي! ليه بتعامليني كده؟».

جنات: «لو سمحت متمشيش معايا، ورايا بنات وولاد جايين ورايا من دفعتي، يقولوا عليا إيه لما يلقوني ماشية معاك؟».

الجارحي: « يعني إنتي مفيش حاجة من ناحيتك؟».

جنات: « لا.».

انصرف الجارحي وقد شعر بضيق شديد في صدره واغرورقت عيناه وأحس بأن الدنيا قد أطبقت عليه، ثُمّ رجع إلى غرفته لا يكلم أحدا، وبعدها بدأ في مراجعة دروسه.

في الجامعة كان الجارحي لا يحضر سوى بعض المحاضرات بسبب ظروف عمله في إحدى الصيدليات، وكانت جنات معروفة بين زملائها بمساعدتها لجميع الطلاب الذين لا يتمكنون من حضور جميع المحاضرات. ذهب الجارحي إليها وطلب منها بعض المحاضرات، فأعطتها له، وكان يناقشها

في أمور الدراسة فقط، فكانت تشرح له بعض المحاضرات التي لم يتمكن من حضورها.

ثُمَّ طلب منها رأيها في بحث كان مطالبا بعمله، وبعد أن أخذته منه أبلغته ردها عليه بعد يومين.

جنات: «أنا شايفة إنك تعيد صياغة البحث من تاني، وتنوع في المصادر أكتر.».

جارحي: «كنت مستعجل جدا في كتابة البحث وماركزتش فيه قوي.».

جنات: «حاول تعيد صياغته من تاني.».

جارحي: «بإذن الله حاضر.».

ثُمَّ استأذنته في الانصراف.

بعد عدة أيام التقى بها مرة أخرى وطلب منها بعض المحاضرات، فأعطتها له ثُمّ أخبرها أنه لن يحضر الأسبوع القادم، وطلب منها رقم هاتفها فأعطته له، يبدو أن بوادر إعجاب به قد تسللت إلى داخلها، وخاصة لِما رأته منه أنه طالب مجتهد ويهتم بالعمل والدراسة في نفس الوقت.

بعد عدة أيام هاتفها وفوجئ بأنها تمر بوعكة صحية وأنها لم تذهب إلى الجامعة منذ عدة أيام، ثُمّ طلب منها أن تهتم بصحتها أكثر.

جارحي: «صباح الخير يا جنات.».

جنات: «صباح الورد.».

جارحي: «عامله إيه النهاردة؟».

جنات: «الحمد لله أحسن شوية.».

جارحي: «مالك! حاسك متغيرة شوية.».

جنات: «أنا كنت مريضة من كام يوم، ومارحتش الجامعة.».

جارحي: «ألف سلامة عليكي، خلي بالك من صحتك.».

جنات: «باذن الله، تسلم يارب.».

ثُمَّ ينهي اتصاله بها ويعاوده في نهاية اليوم.

جارحي: «ألو.».

جنات: «ألو.».

جارحي: «أخبارك إيه يا جنات؟».

جنات: «الحمد لله أحسن شوية.».

جارحي: «بقالي عشر أيام ماشفتكيش، كان نفسي أشوفك.».

جنات: «ماتقلقش على المحاضرات، بإذن الله هجمعهم لك.».

جارحي: «لا أبدا مش موضوع محاضرات..».

وتلعثم.

جنات: «أمال إيه.».

جارحي: «كان نفسي أطمن عليكي بس وأحس إنك بقيتي كويسة.».

جنات: «الحمد لله، أنا بقيت أحسن كتير، وكام يوم وهروح الجامعة إن شاء الله.».

جارحي: «هتروحي إمتى؟».

جنات: «على يوم السبت الجاي إن شاء الله.».

الجارحي: «إن شاء الله.».

ثُمَّ يُنهي حديثه معها.

عـاود الجارحـي الحنـين إليهـا مـرة أخـرى، ودائـما مـا كان يطيـل التفكـير فيهـا، ويرغـب في مهاتفتهـا طـوال الوقـت، وأصبحـت رُوحـه معلقـةً بهـا، وينتظـر بفـارغ الصـبر أن يراهـا يـوم السـبت.

أي لحظـات تلـك التـي يقضيهـا وكأن الزمـن توقـف عندهـا! مـا أصعـب لحظـات الانتظـار.

يهاتفها مساء الجمعة.

جارحي: «مساء الورد يا جنات.».

جنات: «مساء الورد يا جارحي، أخبارك إيه؟».

جارحي: «أنا الحمد لله تمام، طمنيني عليكي إنتي الأول.».

جنات: «تمام الحمد لله.».

جارحي: «رايحه الجامعة بكرة؟».

جنات: «إن شاء الله.».

جارحي: «خلي بالك من نفسِك.».

جنات: «إن شاء الله، خلي بالك من نفسَك.».

جارحي: «في حفظ الله.».

جنات: «في حفظ الله.».

ثُمَّ ينهي مكالمته معها.

في صبـاح السـبت يتصـل عليهـا ويؤكـد عليهـا ضرورة أن يراهـا قبـل دخولهـا الجامعـة؛ فتحـضر إليـه أمـام الجامعـة ويقـدم إليهـا وردة.

جارحي: «حمد الله على سلامتك.».

جنات: «الله يسلمك.».

وتأخذ الوردة، ثُمّ تستأذنه في الانصراف.

يظل يفكر فيها طوال الوقت، وكثيرا ما كانا يتبادلان الاهتمام والمشاعر، وازداد تعلقهما ببعضهما.

مرت السنة الدراسية الأولى والثانية على تلك الحال، لكن مع بداية السنة الدراسية الثالثة أخبرته بأن هناك شخصا تقدم للزواج منها، وأن والديها وافقا عليه، كما أخبرته بأن والدتها تضغط عليها لقبول الزواج منه، خاصة وأنها كانت مريضة وتخشى على صحتها، كما أن والدتها كانت ترى أن ذلك الشخص مناسبٌ؛ لمنصبه المرموق، وكذلك لوضعه المادي، وانتظرت جنات رد الجارحي وأن يخبرها ماذا تفعل، فرد الجارحي عليها بأنه سيطلب يدها من والدها، فأخبرت بذلك والدتها، والتى رفضت بشدة، لكن مع إصرار جنات كلمت والدها وأقنعته أن يحضر إليهم ثُمّ يقومان برفضه وإحراجه.

حدد والدها موعدا لمقابلته فأخبره أنه ما زال طالبا وأمامه طريق طويل ليبني مستقبله، وطلب منه ألا يقف في طريق سعادتها، فخرج الجارحي من عندهم والحزن يعتصر قلبه، وساءت حالته بعد أن تم الزفاف بعد ضغوط من والدتها.

أما الجارحي؛ فأهمل محاضراته وساءت حالته ورسب في تلك السنة، ثُمّ ابتعد عن الجامعة وتركها بعد رسوبه وانطفاء النور الذي كان يضيء حياته

كصبح تنفس
وأنار الحياة

فتفتحت الورود
ورقصت مع نداه

ونسائمك التي تحمل
قلبي والحنين أضناه

فأبحر في عينيك
ملتمسا النجاة

يناديك القلب كُلّ نبضة
أفلا تلبي نداه

والشوق إليك قد
بلغ الأفق مداه

الفصل الثاني

عذب قلبي النوم
لو زار عينيها
وكل لحظاتي
ما تحلى إلا بيها
وأنا اللي دايما
واخداني ليها
في رمشة عين
أكون بين إيديها
كلمة مني وفين
ما كنتي افتكريها
في كُلّ شارع وفي كُلّ
مكان هتشوفيها
في كُلّ حرف في كُلّ
كلمة هتفهميها
في كُلّ قصيدة في
كُلّ كتاب هتحسيها
ياحبيبتي كُلّ حرف
منها إنتي معانيها.

جنـات متفوقـة في دراسـتها، حصلـت عـلى أعـلى الدرجـات، ودخلـت كليـة الطـب، كانـت لا تبخـل عـلى زملائهـا في مسـاعدة مـن لم يتمكنـوا مـن حضـور جميـع المحـاضرات. تعرفـت عـلى جارحـي، فلـما شـعرت ببـوادر إعجـاب منـه؛ بـدأت تصـده مخافـةً مـن نظـرة المجتمـع لهـا، وكذلـك لأنهـا لم تكـن تريـد أن تنشـغل عـن دراسـتها، لكـن مـع اهتـمام الجارحـي بهـا، وخصوصـا في فـترة مرضهـا، بـدأت تشـعر بحنانـه، بـدأت تناقشـه في إحـدى المـواد الدراسـية، ثُـمّ تطـورت الزمالـة إلى صداقـة، ثُـمّ حـب، وأصبحـت تشـعر بـأن رُوحَهـا تعلقـت بـه، ولا تسـتطيع مفارقتـه، وكان الجارحـي كثـيرا مـا يحكـي لهـا بـكل صـدق وشـفافية وصراحـة ظروفـه التـي يمـر بهـا.

جارحي: «بتمنى يا جنات ماتكونيش بتضايقي مني.».

جنات: «وأضايق منَك ليه؟».

جارحي: «خايف تبعدي عني وأنا مش عارف حياتي إزاي من غيرِك.».

جنات: «ربنا يسهل الخير.. ليه بتقول كده؟».

جارحي: «لأني بخاف من الدنيا، إنتي فرحتي الوحيدة اللى فيها.».

جنات: «أحسِن الظن بالله، كله بأوان.».

جارحي: «خايف يا جنات ييجي يوم وتنسيني وتنسي كلامنا.».

جنات: «يكفي إن أرواحنا اتعلقت ببعض.».

جارحـي: «تعـرفي إنِـك طـول الوقـت بتوحشـيني، ونفسـى أكلمـك دايـما.. أنـا بحبِك.».

جنات: «وأنا.»

جارحي: «إنتي إيه؟».

جنات تضحك.

جارحي: «قوليها.».

جنات تضحك: «بحبَك.».

«كمان مرة نفسي أسمعها منِك تاني.. مش مصدق السعادة اللي أنا فيها.».

جنات: «بحبَك.».

جارحي: «قلبي بيرفرف وطاير من السعادة وواخدني معاه لدنيا تانية.».

جنات: «ربنا يسعد قلبَك.. أستأذنك.».

جارحي: «خليكي معايا شوية.».

«لا أنا هروح عشان أكمل مذاكرة وألحق أنام بدري عشان محاضرات الصبح.».

جارحي: «انا بقيت بغير من النوم.».

جنات تضحك: «تعرف إنك بترضِي غروري.».

جارحي: «إزاي يعني؟»

جنات: «لما تقولي إنك بتغير عليا من النوم.. وأنا بحب غيرتك عليا حتى من أهلي.».

«أيوه أنا فعلا بغير عليكي ومش عايز أي حاجة تاخدِك مني.».

يزداد حبهما لبعض، إلى أن يتقدم لجنات صاحب مركز مرموق ووضع اجتماعي جيد؛ فتضغط والدة جنات عليها لقبوله؛ فتطلب جنات من الجارحي أن يتقدم إليها؛ فيُقابل بالرفض من والدها، وتحت ضغوط من والدتها ترضخ إلى القبول بالخطوبة.

طوال فترة الخطوبة ما زال جارحي يشغل فكرها، وتنجرح مشاعرها

لفراقه، لكنها نزلت على رغبة والدتها المريضة، وتجد نفسها في حيرة من أمرها ووضعها مع خطيبها، وكذلك الوضع بالنسبة إلى حبيبها والمجتمع؛ فتطلب من الجارحي ألا يلتقي بها.

جارحي: «إنتي حبِّك إتغير يا جنات، وأنا كنت عايش على أمل إنك في يوم تكوني ليا ومعايا في كُلّ وقت، ومفيش حاجة تبعدنا عن بعض.».

جنات: «المشاعر زي ما هيا مش هتتغير، اللي هيتغير بس طريقة تعبيرنا بيها.. فاهمني ولا لأ؟».

جارحي: «إنتي عايزه تِمَوِّتي حبنا.».

جنات: «ليه مصر تتعبني؟ لا مش كده.».

جارحي: «لا أنا فهمت قصدك بس قدَّري قلبي، صعب أخرَّجك منه، مش بإرادتي، غصب عني.».

جنات: «هنخلي مشاعرنا جوانا.. وبطّل تقول كده عشان نحافظ على بعض ومانضعفش والأمور بيننا تطور ونغضب ربنا، وأنا مش عايزه أغضب ربنا، يا ريت تساعدني.».

جارحي: «إنتي ليه بتعملي معايا كده؟».

جنات: «بعمل إيه بس؟».

جارحي: «عايزه تبعديني عنِّك.».

جنات: «أنا فهمتك وضعي بالضبط.».

جارحي: «إنتي مش امبارح قايله لي إنِّك بتحبيني! إيه غيرك النهاردة!».

جنات: «إيه! أنا امبارح والنهاردة وكل وقت وإنت فكري وكل كياني، بس صعب، أنا مضغوطة من حاجات كتيرة، وقدّر ظروفي.».

جارحي: «إزاي يعني أقدّر ظروفك؟».

جنات: «أشق خلجاتي يا ناس؟». وتضحك.

جارحي يضحك.

جارحي: «يعني إنتي بتحبيني زي ما انتي صح؟».

جنات: «صح.».

جارحي: «وانتي خايفة تحصل مشاكل مع والدك وخطيبك وتحصل حاجة لوالدتك صح؟».

جنات: «صح ومش هنتكلم غير في دراستنا عشان مانضعفش.. مش هنبعد عن بعض، بس كُلّ ده عشان مانضعفش.».

جارحي: «إنتي بتقوليلي إتفضل من غير مطرود؟».

جنات: «يا جارحي، إنت لازم تحافظ عليا وتقدر ظروفي، والدتي ما بتستحملش أي زعل، لكن إحنا نستحمل، كمان أنا حاسة إننا بنغضب ربنا ومش عايزه أغضبه ونضعف.».

جارحي: «في إيدك الحل، وإنتي حرة.».

ويستأذنها. تظل جنات في حيرة من أمرها؛ فتفسخ خطوبتها وتطلب من الجارحي أن يتقدم لها، فيذهب الجارحي لمقابلة والدها مرة ثانية.

والد جنات كان لا يرغب في مقابلته، لكنه ربما أراد أن تقتنع ابنته بفكرة رفضه، فوافق على مقابلة الجارحي.

والد جنات للجارحي:

«نتكلم بالعقل والمنطق شوية ياجارحي؛ تقدر توفر لبنتي مستوى معيشة كويس تعيّشها فيه؟ تقدر يكون لك مصدر دخل خاص بيك؟».

جارحي: «بإذن الله أقدر.».

والدها: «هتستناك كام سنة؟ لو على الخطوبة أنا مش هستنى أكتر من سنة تجهز فيها نفسك.».

جارحي: «إيه كُلّ طلبات حضرتك؟».

والدها: «مية ألف مهر، وخمسين ألف دهب، وشقتك تكون جاهزة.».

جارحي؛ «أنا مش هقدر أعمل كُلّ ده دلوقتي.».

والدها: «يبقى عرفت إنه كان عندى حق؟ وإنه لسه قدامك كتير، شرفتنا.».

جارحي يشعر بالحرج، ثُمّ يخرج من عندهم.

والدة جنات بعد خروج الجارحي: «هنصرف عليه إحنا كمان وعلى تعليمه! وهيعيشها إزاي وهو لسه طالب؟ وهتستناه كام سنة كمان؟ بنت خالتها مش أحسن منها، شوف جوزها جاب لها إيه، ده جايلها عريس كامل من مجاميعه ولسه مصر إنه يتجوزها.».

والدها: «حاولي تقنعيها.».

والدتها: «حاضر.».

مع إصرار والدتها تنزل جنات عن رغبتها وتقبل بالزواج.

تسوء حالة الجارحي ولا يرغب في الحديث مع أحد خصوصا بعدما سمعه من كلام من بعض أصدقائه وجيرانه.

صديقه مهاب: «شوف الجارحي راح يتقدم لجنات ورفضوه»

محمود: «ياعم عندهم حق، هوا ناسي ظروفه إيه! وهيقدر يعيشها إزاي؟».

يدخل عليهم الجارحي في أثناء كلامهم: «ياعم خليكم في نفسكم، وركزوا مع نفسكم أكتر، أتجوزها ولا متجوزهاش؛ إنتوا إيه يخصكم! فالحين بس فلانة اتجوزت وفلانة اتطلقت! مش عارف ليه الناس بقت تحشر نفسها في كُلّ حاجة!».

فيصمت الجميع، ويخرج الجارحي من عندهم وهو في غاية الحزن، ولا يرغب في دخول الجامعة؛ فكل شبر فيها يذكره بحبيبة قلبه؛ بوابة الجامعة، مبانيها، أشجارها، ورودها، طرقاتها، مدرجاتها، معاملها، خطوات جنات فيها، يتذكرها فتزيد جراحه، أهمل محاضراته ولم يذهب إلى الجامعة إلا قليلا؛ فرسب في تلك السنة، وبعدها ترك الجامعة وقرر السفر إلى الخارج.

مع أو ضد، البعض لا يقبل الوسط، إما أن تمدح طوال الوقت، أو أن تذم، لكن أن تذكر مميزات وترفض أخطاء في ذات الموقف؛ فهذا ما لا يقبله الكثيرون.

البعض لا يقبل اللين، ويعتبره ضعفا؛ فيشطح شطحات المرض النفسي، مع أن الرفق واللين ما دخل شيء إلا زانه.

البعض يريدون أن يصادروا حريتك، لا ترى، لا تسمع، لا تتكلم؛ فيكون حال الأنعام أفضل منك.

البعض لا يقبلون اللين ويصفقون للتشدد والتعصب، فإذا ما خربت الديار ضحكوا عليك.

البعض لا يريدون زرع اللين والمحبة، بل اقتلاع كُلّ ما هو جميل، وزرع القسوة والعصبية والأحقاد.

من أشجار الريحان
ما زلت أنتظركِ علّكِ
يوما تصلين الرجاء
نُزعت جذور الفرح من
قلب وسالت الدماء
ونبت الألم والحزن
وبكتكِ نجوم السماء
يا طيفها قل لها علّها
تُنير ديارا ظلماء
أم حجبتكِ السحب
والرياح الهوجاء
غابت وغاب القمر
والحيارى في عناء
فِكْر وقلب متيم
بحبها في شقاء
هي الشمس في دفئها
هي للفرح ضياء
هي حكايات القمر التي
تغزّل في حسنها الشعراء

الفصل الثالث

حاول الجارحي قبل رحلة سفره إلى الخارج أن يبحث عن الآثار؛ لحلمه بالثراء السريع. خرج مع أصدقائه في نزهة في الجبل لاستكشاف المغارات الموجودة هناك.

أخذوا طعامهم معهم؛ عبارة عن أشياء مجففة، ربما تطول الإقامة في الصحراء.

اتجهوا إلى الصحراء، يمرون ما بين الجبال، كلما رأوا مغارة كانوا يقتربون منها ويدخلونها فيجدون بها هياكل عَظميّة لطيور.

يقتربون من إحدى المغارات فيروا بالقرب منها أناس لديهم مولد كهرباء كبير وصواريخ للقطع وسيارة نصف نقل وسيارة «جيب»، ويقومون بتقطيع السكك الحديدية القديمة والتي توقف العمل عليها، وبمجرد رؤيتهم له؛ أخذوا يطلقون النار صوبه؛ فتحرك بسرعة بالسيارة للخلف، وتحركت السيارة الجيب خلفه تطارده إلى أن وصل إلى أحد الطرق الإسفلتية وهرب منها، ثُمّ عادت السيارة الجيب مرة أخرى إلى مكانها.

أراد أصدقاؤه العودة لكنه أبى وأصر على مواصلة المسير في اتجاهٍ آخر؛ إلى أن وصل إلى مغارةٍ اتساع فوهتها يبلغ حوالي عشرة أمتار، جلسوا

بالقرب منها ونصبوا خيمتهم ثُمّ صعدوا بعدها إلى المغارة، بحثوا فيها يمينا ويسارا، هياكل عظمية لطيور، فجأة يُنير الكشّاف إلى العمق فيجد تمثالا طوله حوالي ستة أمتار لفتاة جميلة، يفرح هو وأصدقاؤه، يتصل على أحد أساتذة الآثار والجيولوجيا بالإسكندرية، يصف له التمثال، فيخبرهم أنه سيأتي ليراه، ويخبرهم بأن يُحَضّروا معداتٍ للحفر في المغارة من مولد كهرباء وآلات للحفر وحبال وكشافات كهربائية. يعود هو وزملاؤه إلى قريتهم ويجهزوا الآلات والمعدات وينتظرون قدوم الدكتور من الاسكندرية يصل الدكتور من الاسكندرية بعد مرور يومين، يذهبون إلى المغارة، ينظر الدكتور إلى التمثال فيقول لهم إنه من الأسرة الثانية والعشرين، ويوجههم بالحفر أمام قدم التمثال.

في البداية حاولوا ربط التمثال وجره من مكانه بالسيارة، ولكنهم لم يستطيعوا تحريكه.

بدؤوا في الحفر أسفل التمثال، حدد لهم الدكتور المكان.

في البداية؛ طبقة صلبة، وبدأت تتكشف أمامهم دائرة باتساع ثلاثة أمتار بعد حفرهم بعمق نصف متر، كانت الرمال حمراء ناعمة سهلة في الحفر، أما جدران الحفرة فكانت ملساء، يبدو أنه سرداب.

حفروا لثلاثة أمتار فلم يصلوا لنهايتها، قرر الدكتور العودة إلى الإسكندرية ومتابعتهم من هناك، أخبرهم الدكتور أن هذا المكان قد يكون مخزن للأسلحة في ذلك الوقت، عاد الدكتور إلى الإسكندرية وهم ما زالوا يحفرون، وفي أثناء الحفر وجدوا ما يشبه بابا مسدودا بالحجارة؛

فاتصلوا بالدكتور الذي أخبرهم أنه قد يكون بابا وهميًّا، ووجههم بأن يقوموا بتسليط النار على تلك الحجارة باستخدام أنبوب الغاز أو ما يُسمى بالباشبوري، وبعد أن توهجت الحجارة قاموا بسكب المياه عليها؛ فتفتت، لكنهم لم يجدوا شيئا بعد هذا الباب، يبدو أنه باب وهميّ، قاموا بالاتصال بالدكتور، فأخبرهم أن يستمروا في الحفر.

حفروا مترين آخرين، وأصبح عمق الحفر خمسة أمتار، وجدوا بابا آخرَ؛ فاتصلوا على الدكتور، فأخبرهم بأنه قد يكون بابا آخرَ وهميًّا، وأمرهم أن يفعلوا مثلما فعلوا في المرة الأولى. كانت النتيجةُ نفسَ الشيء؛ بابًا وهميًّا. شعروا بالتعب فقرروا استئناف العمل في اليوم التالي، كانوا ينزلون إلى الحفرة بحبال غليظة بها عقد، كُلّ متر عقدة، وكانت تلك الحبال موثوقة جيدا بالخارج. كانوا يستخدمون المصابيح الكهربائية من خلال تشغيل المولد، وكانوا يستخدمونه أيضا في تشغيل آلات الحفر.

قرروا الخروج من الحفرة، قضوا ليلتهم أسفل الجبل وأمام المغارة، لا ينامون جميعهم في وقت واحد، بل يتبقى شخص منهم يقظ؛ مخافة الذئاب، هكذا كانوا يقضون ليلهم.

في الصباح؛ استيقظ هو وأصدقاؤه واستأنفوا عملهم، نزلوا حوالي متر آخر، أصبح عمق الحفرة ستة أمتار؛ فوجدوا بابا آخرَ؛ اتصلوا بالدكتور، فأخبرهم أن يفعلوا مثلما فعلوا في المرة الأولى، أحضروا أنبوب البوتاجاز والباشبوري، وقاموا بتسخين الحجارة التي سُدّ بها ذلك الباب، إلى أن تحولت إلى اللون الأحمر، فقاموا بسكب الماء عليها؛ بدأت حجارة الباب

المسدود تتشقق، انتظروها حتى بردت، أحضر هو المطرقة، بدأ يفتت في الحجارة إلى أن انتهى منها، ثُمّ فوجيء برمال كثيرة ناعمة تنهال منها، أخذوا يُخرجون الرمال واتصلوا بالدكتور، فأخبرهم أن يستمروا في استخراج الرمال ويَدخلوا من الباب الذي قاموا بفتحه، بعد أن استخرجوا الرمال منها، حوالي ثلاثة أمتار داخل الباب، كان هذا سرداب آخر بالاتجاه العرضي، قادهم إلى مغارة أخرى في الجبل من الداخل.

مغارة أخرى أصغر من الأولى، يصل حجم فوهتها إلى أربعة أمتار.

دخلوا المغارة الثانية، قاموا باستطلاعها، وجدوا تمثالا يشبه الأول يبلغ طوله حوالي مترين،

خرجوا من المغارة واتصلوا بالدكتور، فأخبرهم أن ينتظروا ثلاثة أيام أخرى دون عمل؛ يبدو أن الدكتور قد خاف عليهم من أن يصابوا بشيء من تلوث الهواء، أو أراد أن يتجدد الهواء داخل المغارة بالرغم من أنه لم يكن بها أي مومياوات أو أي آثار للموتى.

قرروا العودة إلى بلدتهم، وبعد انقضاء الثلاثة أيام رجعوا مرة أخرى، أخبرهم الدكتور بأن يقوموا بالحفر أمام هذا التمثال الأخير، وأن يفعلوا ما فعلوا في التمثال الأول.

قاموا بالحفر أمام هذا التمثال، كان يبلغ طوله حوالي مترين، وهو نفس شكل التمثال الأول لهذه المرأة الجميلة.

في تلك الأثناء حضر الدكتور، ووجد مكتوبا على التمثال «الملكة فيرا: ملكة الإغريق.».

أمرهم الدكتور بالحفر أمام التمثال، حفروا ووجدوا نفس الحفرة باتساع حوالي ثلاثة أمتار، أخرَجوا منها الرمال، نزلوا بالحفر لعمق متر آخر؛ فوجدوا بابا مسدودا. في تلك الأثناء قرر الدكتور العودة إلى الإسكندرية. قاموا بفتح الباب بنفس الطرق السابقة؛ فوجدوه بابا وهميّا .كان الدكتور قد شعر بالإعياء، لهذا السبب قرر العودة إلى الإسكندرية، أما هم؛ فما زالوا في أعمال الحفر . نزلوا مترين آخرين؛ فوجدوا بابا قاموا بتكسيره فاتضح أنه بابٌ وهميٌّ، كان الدكتور قد أخبرهم بأنهم سيجدون إشارةً تدلهم على الطريق الصحيح. بلغ عمق الحفر للحفرة الأولى باتجاه الأسفل ستة أمتار، ثُمّ منها باب باتجاه عمودي حوالي ثلاثة أمتار، ثُمّ الحفر الأخير باتجاه الأسفل خمسة أمتار، كان مجموع نزولهم داخل بطن الجبل حوالي أحد عشر مترا.

ما زالوا يبحثون عن الإشارة التي أخبرهم عنها الدكتور، كان الدكتور قد أخبرهم أنهم قد يجدون حجرا به سهم يدلهم على المكان الصحيح، وعليهم أن يأخذوا حذرهم من أن يتغير اتجاه السهم من مكانه.

كان أحدهم يمسك بآلة للحفر فاحترقت؛ فقرر هو القيام بالحفر بآلة أخرى بدلا عنه، قام هو بالحفر وفي أثناء إنزاله آلة الحفر وإخراجها؛ خرج حجر مرسوم عليه سهم يبدو أنه قد تغير من مكانه، إنه الحجر الذي أخبرهم عنه الدكتور، مرسوم عليه سهم، لسوء الحظ لقد تغير اتجاهه ومكانه بسبب تحريكه بآلة الحفر دون وعي منهم.

خرجوا، فاتصل هو على الدكتور، رد عليه أحد الأشخاص بأنه أحد

أقارب الدكتور وأنه ظن أن هذا الاتصال للتعزية في وفاة الدكتور، قام هو بتعزية قريب الدكتور ورجع إلى المغارة، إلى أسفل، إلى آخر حفرة، يضرب بالمطرقة يمينا ويسارا، وأسفل منه شعر بتساقط للحجارة وأصوات غريبة تقول «فيرا فيرا».

خرجوا مسرعين إلى أعلى، عادوا إلى بلدتهم، وبعد أسبوع قرروا العودة مرة أخرى، لكن هذه المرة مع شخص يسمونه شيخ، وصلوا إلى المغارة، دخل هذا الشخص المغارة فنظر إلى التمثال وأخذ يكثر من الفتاوى: «يبدو أنه كذا، و في حالة كذا، سيكون كذا..».

وفجأة نظر للتمثال وقال لهم: «انظروا في عينها، إنها تنظر باتجاه اليمين، باتجاه غرفة وصيفتها، اكسروا داخل المغارة باتجاه اليمين، واتركوا أعمال الحفر.».

أخذ الشيخ يقرأ بعد ذلك كلاما غير مفهوم، ثُمّ توقف وبدؤوا في التكسير في الجانب الأيمن المقابل لعين التمثال، وفي أثناء تكسيرهم بدأت الحجارة في التساقط داخل وخارج المغارة؛ فخرجوا مسرعين منها، فقال لهم الشيخ أن هذا المكان به رصد كبير، ولم ينصحهم بالمكوث فيه، فقد تكون نهاية أحدهم في هذا المكان.

وخرج الشيخ وعادوا جميعا معه إلى بلدتهم.

بعد حوالي أسبوع اجتمعوا فيما بينهم وتشاوروا على استئناف العمل داخل الحفرة الأخيرة،

سافروا إلى أن وصلوا إلى المغارة، كان معه خاتم سقط منه بالحفرة الأخيرة،

وفي أثناء نزوله وجد جمرة نار صغيرة تقترب من عينيه، وسمع أصواتا تقول «فيرا فيرا»؛ فصرخ، لكن أصدقاءه لم يصدقوا ما رآه، فلم يروا شيئا ولم يسمعوا شيئا، ووجد خاتمه، وإذ بالخاتم قد تحول إلى حجر صغير في يده، قام بالضرب بالمطرقة في جدار الحفرة فسمع أصواتا كثيرة تقول «فيرا.. فيرا»؛ فطلب الخروج مسرعا، واستغرب أصدقاؤه فخرجوا وراءه جميعا، يبدو أنه هو فقط من سمع تلك الأصوات، نزلوا أسفل الجبل.

في الليل سمع أصواتا كثيرة، عواء ذئاب، فطلب من أصدقائه أن يناموا في المغارة عند أسفل الجبل.

ذهبوا إلى النوم في المغارة، كانت فوهتها حوالي عشرة أمتار، نام أصدقاؤه ونام هو، وإذ به يستيقظ على صوت يقول «فيرا»؛ فينظر إلى فوهة المغارة، فيجد شخصا أسود ينظر إليه، يبلغ عرض وجهه خمسة أمتار، ويُمسِك في يده عصا طويلة ملتوية وضخمة، مد يده إليه، أمسكه من قدمه، رفعه إلى أعلى، ثُمّ تركه يسقط؛ فوجد نفسه في مكان مظلم به غبار ورياح شديدة.

يسير في ظلمة الليل وإذ بالريح تشتد ولا يكاد يبصر أمامه، رياح شديدة وغبار في كُلّ مكان، تظهر أمامه ذات شعر أسود طويل يصل إلى الأرض، مرتدية جلبابا أزرق.

هي: أنت.

جارحي: نعم.

هي: ماذا تفعل هنا؟

جارحي: كنت ذاهبا إلى منزلي، ولكن يبدو أنني قد ضللت الطريق.

هي: تعالَ معي، وسأدلك على الطريق.

- وأين أنا؟

- أنت في مملكة فيرا، يا حراس، خذوه، لقد دنست قدماه أرض فيرا.

الحراس يأخذوه معهم، ثُمّ يُجلسوه على الأرض، ينظر يمينه ويساره؛ فيرى الآلاف مجردين من الثياب.

الحراس: «الكل ينام على الأرض، ومن يأبى؛ سنسومه أشد العذاب.».

يحاول جارحي أن يرفع رأسه، وإذ بأحد الحراس يضربه على ظهره.

قائد الحرس: «خذوه إلى قصر فيرا.».

يتعجب: «قصر فيرا!».

قائد الحرس: «أنت ستذهب لتسكن في قصر فيرا، وعليك أن تلتزم بقوانين فيرا، فإن لم تفعل ستموت في هذا المكان، ولن تخرج منه أبدا.».

جارحي: «وما هي قوانين فيرا؟».

قائد الحرس: «أتيت إلينا ولا تعلم ما هي قوانين فيرا!».

جارحي: «أجل.».

قائد الحرس: «هنا الصواب يُفهم خطأً، والخطأ يُفهم صوابا، تذكر ذلك جيدا، أنت هنا ستعيش وتأكل، ولكن لن تتلذذ بطعام قط، تأكل لتعيش، والآن؛ هيا ادخل إلى هذا القصر وإياك أن تخالف قوانيننا.».

جارحي يدخل القصر.

في القصر؛ تماثيل كثيرة من الشمع والحجارة، لفت انتباهه تمثال من الشمع لفتاة وجهها أبيض وترتدي عباءة حمراء، وقف أمامها يدقق ويمعن النظر فيها، وإذ به يضع يده على كتفه، تبدو ملامح القوة عليه؛ رجل مسن ذو شعر أبيض، يرتدي ملابس ذات ألوان متعددة.

«أنا استوراي.. يا.. هو.».

جارحي: أنت تعرفني؟

استوراي: نعم، أعرفك وأعرف حقيقة كُلّ تمثال من هذه التماثيل، وأنت ستتحول إلى تمثال وتوضع هنا حين توقف عقلك.

هو: كيف ذلك؟

استوراي: هذه التماثيل هي لأناس توقفت عقولهم للحظات.

جارحي: قلت لي أنك تعلم حقيقة كُلّ تمثال من هذه التماثيل! فما هي حقيقة تمثال هذه الفتاة؟

استوراي: هو لفتاة توفيت والدتها، وقتها كان عمرها خمس سنوات، فتزوج والدها بأخرى، لكنها لم تعوضها عن حنان والدتها، وكانت تعاملها بقسوة، كبرت الفتاة فتقدم إليها رجل مسن، فقبلت الزواج منه، وأنجبت منه طفلا. كانت تشعر أنها تزوجت من زوجة أبيها، فقد كان يسيء معاملتها. ذات مرة؛ كانت تعد له الطعام فثار عليها، وكانت تُمسِك بسكين تعد به الطعام، حاول أن يأخذ السكين منها، لكنها كانت خائفة من أن يقتلها، فتمسكت بالسكين، وإذ هو يحاول استخلاص السكين من يديها، وإذ بالسكين تقطع شرايين يده؛ فتخرج مسرعة ومعها طفلها وتتركه ينزف فيموت.

جارحي: ما اسمها؟

استوراي: اسمها كلارا.

جارحي: وماذا بعد؟

استوراي: انظر في عيني.

جارحي ينظر في عينيه فيرى فتاة خائفة ترتجف في ظلام الليل، وتمتطي جَوَادا وتخرج مسرعة ومعها طفل صغير، تهاجر من البلدة فتصل إلى بلدة أخرى، تجاورها فتمكث لوقت طويل على حافة الطريق، وإذ بشاب ينظر إليها ويقترب منها.

الشاب: أنا أخيوليس، أعمل بالقرب من هنا هل تريدين المساعدة؟

كلارا: لا شكرا.. أنا أنتظر صديقة ستأتي لتأخذني معها، فأنا لست من هذه البلدة.

أخيوليس: إن احتجت مساعدة فأنا موجود هنا.

ثُمَّ يتركها ويجلس وحيدا بعيدا عنها، لكنه ما زال يتابعها وينظر إليها.

تأتي مجموعة من الشباب ويتحدثون معها! ثُمّ يتركونها فيذهب أخيوليس إليها .

أخيوليس: مضى وقت طويل وصديقتك لم تأتِ بعد، هل تريدين المساعدة؟

كلارا: في الحقيقة أنا تزوجت من رجل مسن فمات، وكان لديه أولاد مِن امرأة أخرى، فطردوني أنا وصغيري، وليس لنا مأوى.

أخيوليس: ما رأيك أن تتزوجيني؟ أنا في الخامسة والثلاثين من عمري.

كلارا: ألم تتزوج بعد؟

أخيوليس: لَمَ أتزوج.. أنا أتقاضى أجرا ضعيفا، لكن لي منزل صغير في بودستا تسكن فيه والدتي، هل تسافرين معي إلى بودستا؟

كلارا: نعم أسافر معك، لكن ماذا ستقول لوالدتك؟

أخيوليس: سأقول لها أننا تزوجنا.

كلارا تفكر فتقتنع بفكرة أخيوليس، وتوافق على الذهاب معه إلى بودستا.

أخيوليس: يبدو لي أنكِ لَمَ تأكلي بعد، فيذهب ويشتري الطعام ويجلسان معا حتى الصباح على حافة النهر.

في الصباح يمتطي جَوَاده وتسير برفقته على جَوَادها إلى أن يصلا إلى بودستا.

وهنا يغمض استوراي عينيه.

جارحي: دعني أرى ماذا حدث.

استوراي: ليس الآن، اذهب لتنام.

جارحي يذهب لينام، لكنه لا يشعر براحة في نومه، فقد كان ينام على أحد جانبيه؛ فالمكان الذي ينام فيه ضيق جدا.

جارحي يرى في القصر أناس قد أصابتهم العديد من الأمراض، وخاصة الجلدية، لكنه مهما حاول الابتعاد عنهم مقدر له أن يصاب بقرح في يديه وساقيه، فيأتيه الطبيب فيعطيه بعض الأدوية فيُشفى.

في القصر مكتبة لا يدخلها أحد ولا يهتم بها، كما أن الحراس لا يسمحون لأحد بالذهاب إليها، سوى في المناسبات الرسمية كعيد الاستقلال واعتلاء الملكة عرش فيرا.

في مملكة فيرا أكثر من خمسين عيد وعطلات عن العمل، في مملكة فيرا فرد يعمل وعشرة لا يجدون العمل.

مملكة فيرا كانت من أقوى الممالك والجيوش، لكنها اليوم حراسها يقمعون الشعب ويكثرون من جباية الضرائب.

جارحي ينظر في عيني استوراي فيرى كلارا وأخيوليس يصلا إلى بودستا ويتزوجان. تمر الأيام فلَم يعد يطيق طفلها، ذلك الطفل الشقي الذي كثيرا ما كان يلهو فيوقظه من غفواته.

أخيوليس: يلهو كثيرا ولا يتركني أنام.

كلارا: أنا أرغب في العودة إلى مدينة ميرا، والأفضل لهذا الطفل أن يعيش مع إخوته.

أخيوليس: سأستطلع لك الأمر.

كلارا: اذهب إلى لونا، إحدى قريباتي تسكن على بعد أميال من مدينة ميرا.

في الصباح يمتطي جواده ويتجه صوب مدينة ميرا.

وعلى مشارف ميرا يوقفه أحد الحراس.

الحارس: إلى أين أنت ذاهب؟

أخيوليس: إلى منزل لونا، قيل لي أنه على مشارف مدينة ميرا.

الحارس: من أين أنت قادم؟

أخيوليس: أنا قادم من مدينة بودستا.

الحارس: وماذا تريد من لونا؟

أخيوليس: أرسلتني إليها كلارا.

الحارس: كلارا قاتلة زوجها برفقة عشيقها!

أخيوليس: لا.. لا أعلم شيئا عما تقوله.

الحارس: ذاك منزل لونا.

أخيوليس: شكرا لك.

ويتوجه صوب منزل لونا ويطرق الباب، فتفتح له.

أخيوليس: أنا أخيوليس قادم من بلدة بودستا، وقد أرسلتني إليكِ كلارا.

لونا: لا نعلم عنها شيء، ولا تأتِ إلينا مرة أخرى.

وتغلق الباب.

أخيوليس يفكر كثيرا في الأمر ثُمّ يعود مسرعا إلى بودستا، فيتعقبه الحراس.

يصل إلى منزله.

أخيوليس: يتهمونك في ميرا بقتل زوجكِ بمساعدة عشيقكِ.

كلارا: تشاجر معي وأنا أعد له الطعام، حاول أن يأخذ مني السكين فجرحته في يده.

أخيوليس: لقد مات.

وفي تلك الأثناء يسمع طرقات بالباب. أخيوليس يفتح الباب فيغلقه بسرعة: إنهم حراس ميرا.

فيهربان من باب خلفي في المنزل.

كان جارحي لا يخالط الكثير من الموجودين في القصر، يفكر وينظر في عيني استوراي فيرى طفلا صغيرا يجلس بجوار عمه ويشترى له الألعاب؛ كدمية حصان صغير يلهو به، يرى صورة ملابس جديدة؛ فيسأل والدته من أحضرها، فتجيبه والدك. يرى صورة والده وهو يُجلِسه على رجليه وهو صغير.

يرى جدته وهي تطعمه وهو صغير وتحكى له كُلّ يوم حكاية يسمعها ثُمّ ينام.

يرى مجموعة من التماثيل متجاورة، فيسأل استوراي عنهم فيجبيه بأن ينظر في عينيه، جارحي ينظر في عيني استوراي فيرى لندا.

لندا لم تكن بارعة الحسن والجمال، إلا أنها كانت أجمل النساء في ناظري مارتن.

لندا تذهب إلى العمل، يلفت انتباهها مارتن.

كان جاك صديق مقرب لمارتن

جاك: لندا تهتم بك.

مارتن: لا حاجة لي بهذا الاهتمام.

في اليوم التالي لم يذهب مارتن للعمل.

لندا تقابل جاك:

صباح الخير جاك لماذا لَمَ يحضر صديقك اليوم؟

جاك: صباح الخير لندا، سأذهب إليه اليوم.

يذهب جاك إلى مارتن.

جاك: لماذا لَم تذهب إلى العمل اليوم؟

مارتن: كنت متعبا.

جاك: سألتني عنكَ لندا.

مارتن: بما تفسر ذلك؟

جاك: أفسره بأنه اهتمام.

في الصباح يذهب مارتن إلى العمل، يتقابل مع لندا.

لندا: كيف حالك؟

مارتن: بخير.

لندا: لَمْ تحضر بالأمس!

مارتن: كنت متعبا.

لندا: لا بأس.

في اليوم التالي تكثر لندا مِن النظرات إلى مارتن، فيطاردها مارتن في كُلّ مكان تذهب إليه.

بعد مرور شهور.

مارتن: أريد الحديث معك في موضوع.

لندا: لا توجد بيني وبينك مواضيع.

مارتن: كما تشائين.

تمر أعوام يقابلها ولا يبادرها بالحديث، لكنها تأتي إليه مبتسمة.

لندا: كيف حالك؟

مارتن: بخير.

تتركه لندا، يبدو أنها رأت منه عدم اهتمام بها.

في اليوم التالي يحاول مارتن مقابلتها، يستوقفها فتطيل النظر إليه.

مارتن: أريد الحديث معك في موضوع.

لندا: لقد أخبرتك من قبل أنه لا توجد بيني وبينك مواضيع، ومن فضلك لا تستوقفني مرة أخرى.

مارتن: هذا آخر رد لكِ.

لندا: نعم.

بعد مرور عام ومارتن لا يكلمها أو ينظر إليها بالرغم من أنها كانت كثيرا ما تنظر إليه وتحاول أن تثير انتباهه.

لندا: كيف حالكَ مارتن؟

مارتن: بخير، وما زلت أكرر طلبي في الزواج منك.

لندا تبتسم وتوافق.

بعد الزواج تخرج لندا للنزهة مع مارتن في مركب صغير.

مارتن: لماذا لَم توافقي منذ البداية؟

لندا: كنت لا أقوى على الحديث معك مخافة أن تُسيء الظن بي.

مارتن: وهذا ما جعلني أصمم على الزواج بك.

لندا تمسك بحفنة ماء: اشهد يا بحر أني سأظل طيلة عمري أحب حبيبي.

تمر الأعوام وينجبان طفلين ويقرران الانتقال من ميرا إلى بودستا عبر البحر.

في البحر تشتد الأمواج، تموج السفينة يمينا ويسارا، والكل في فزع شديد، أطواق النجاة بالسفينة كانت قليلة، ارتدت لندا وطفليها أطواق النجاة وتبقى هو، أتت موجة قوية قلبت السفينة رأسا على عقب، تمسكت لندا بإحدى القطع الخشبية، نجت وأطفالها، لكنها لم تجد مارتن.

لندا: مارتن! مارتن!

أفاق مارتن على صرخات لندا ووجد نفسه في مكان بعيد، ويرى من حوله النجوم والكواكب، يسمع صوتها فينظر حوله لا يجد شيئا.

مارتن ينادى لندا: حبيبتي لا ترحلي عني، فحبك هو الذي قتلني. وغرقت في بحور عينيك وناديتك أنا وقلبي.

مارتن ينادى لندا، مازال صوته يرن ولا يسمع إلا صداه.

يسمع صوتها مرة أُخرى قادما من مكان بعيد؛ فينظر حوله يجد ذوي البياض يقتربون منه، لا يتمكن من تحديد ملامحهم.

مارتن: أين أنا!

ذوو البياض: أنت هنا في عالمنا.

مارتن: وأين لندا؟

ذوو البياض: لندا في الأرض، انظر إلى هذا الكوكب، إنه الأرض، وهي هناك في عالمها.

مارتن: أريد العودة إلى الأرض.

ذوو البياض: يمكنك فقط زيارة الأرض لكنك ستعود إلى هنا مرة أُخرى.

يذهب مارتن لزيارة الأرض، يرى لندا.

مارتن: لندا.. لندا!

لندا لا تراه ولا تسمعه.

مارتن: هل أصبحت عمياءَ وصماء؟

لندا لا تسمعه ولا تراه.

يتجول مارتن في بودستا، يُحدِّث الناس لكنهم لا يرونه ولا يسمعونه، يرى مارتن أناس، يحاول إسداء النصيحة إليهم، لكن يبدو أن كُلّ الناس يودون خوض التجارب بأنفسهم، ما زال مارتن يحاول الحديث معهم لكنهم لا يرونه ولا يسمعونه.

يصرخ مارتن: لماذا أصبحتم صما وعميا؟ إن العيش في عالمي الجديد أهون عليّ بكثير مِن العيش في عالمكم.

شاب يدعى ماركو هو من قام بمساعدة لندا وطفليها في النجاة من الغرق بمساعدة بعض الألواح الخشبية، بعد أن فقدت لندا الأمل في إيجاد مارتن تزوجت مِن ماركو وأنجبت منه طفل، ماركو كان يعمل دلّالا على الطرقات، بعد مرور عشرين عام حضرت إليه فتاة متعبه وطلبت منه أن يدلها على أحد الطرق القريبة للمدينة فسار معها، وما إن رأت أحد الحراس؛ صرخت واتهمت ماركو بأنه قام باغتصابها. الحراس يمسكون بماركو، وماركو يدافع عن نفسه، يعرض ماركو على القاضي وينكر اتهامها له فيأمر القاضي بعمل بعض التحاليل لماركو؛ تأتي نتيجة التحاليل بأن ماركو لا ينجب فيتركه الحراس فيذهب إلى منزله ويحاول

قتل لندا، لكنها تهرب من المنزل ويخرج مسرعا وراءها، فتقابله امرأة ذات شعر أسود طويل يصل إلى الأرض، ترتدي جلبابا أزرق.

أما لندا فكانت تمشي في الشوارع تطلب المساعدة، بعض الناس يساعدونها والبعض الآخر يأبى.

ذات مرة قيل لها أن هناك رجلا غنيا فذهبت إليه لكنه أدار وجهه عنها ولَم يعطها إلا قليل القليل من المال، ذهبت ذات يوم إلى دار أحد الأشخاص لتطلب منه المساعدة، كانت زوجة صاحب الدار تعد له الطعام، دجاجة مطهية فلما رأت لندا قامت بحمل الطعام بعيدا عنها، فرأت لندا الدجاجة تطير في الهواء مِن فوق زوجة صاحب الدار.

كان هناك في بودستا شاب يُدعى باولو أتت إليه فتاة تُدعى ماريكا، سألته عن مكان لتسكن فيه، فلم تكن هذه الفتاة من بودستا، فدلها باولو على مكا ن .

ماريكا: أنتَ تسكن بالقرب من هنا؟

باولو: لا أنا أسكن بعيدا.

ماريكا: غدا أحتفل بعيد ميلادي، وأنا أدعوك للحضور.

باولو يوافق ويذهب إليها، فتخرج إليه شبه عارية، فيستأذن في الخروج من المكان.

ماريكا: الليلة هي ليلة عيد ميلادي وإن خرجت سأخبر الحراس أنك قد ضايقتني في هذه الليلة.

باولو يخرج مسرعا ويقول لها: أخبريهم.

في الطريق يتقابل مع لندا.

لندا: لقد مات زوجي وترك لي أطفالا صغارا.

باولو يعطيها بعض المال، وتقابله مرات عديدة، يعرض عليها الزواج فتوافق، يسألها عن مكان سكنها، فلا تخبره به، فقط تصفه له أنه بالقرب من بودستا، يسألها عن اسم والدها، فلا تجيبه؛ فهي تخاف أن يغضب أولادها مِن زواجها وهي في سن كبير، فقد كان باولو يصغرها بعشر سنوات، كانت لندا بعد زواجها من باولو قليلا ما تذهب إليه، فأغلب وقتها كانت تقضيه مع أولادها، ولا يعلم مكانها، وتوقفت عن الذهاب إليه وانقطعت عنه أخبارها، أما مارتن؛ فيبدو أنه قد مَلّ من زيارة الأرض واكتفى بعالمه الجديد.

ينظر هو في عيني استوراى فيرى شعب فيرا قد اعتمد على الشراء وترك الزراعة والصناعة،

وأصبح شعبا مستهلِكا، اقترضت فيرا من جيرانها، أصبحت مطالبةً بسداد ديونها، لَم يبقَ أمام الملكة سوى فرض الضرائب على المبيعات والمشتريات والملبس والمسكن والطرق؛ فثار الشعب وأشعل النيران في أرجاء مملكة فيرا؛ فأصدرت فيرا أوامرها بقتل الشعب، مات الشعب ولَم يبقَ سوى فيرا.

القرد والأسد

في مملكة فيرا ذات يوم أراد القرد أن يتزوج من غزالة، فذهب إليها، فرفضت، فأخبرته مجموعة من القرود أن يقوم بعمل بطولي، فذهب إلى الأسد.

القرد: يا أسد، يا أسد.

الأسد: نعم يا قرد.

القرد: أريد الزواج من الغزالة، وقد قيل لي أنني لا بد أن أقوم بعمل بطوليّ، ولَم أجد أحدا يمكنني القيام بالبطولة أمامه سواك.

الأسد: كيف ذلك؟

القرد يتوسل للأسد بأن يقوم بتقييده، فيوافقه الأسد تحت توسلاته، فيقوم القرد بتقييد الأسد، وهنا تقف مجموعة من القرود من بعيد، دائما ما يطلقون صيحات الفرح والصفير:

القرد، القرد، قيد الأسد.

اجتمعت الحيوانات ورأت الأسد مقيدا، طال قيد الأسد.

الأسد: فك قيدي يا قرد.

القرد: لا، لن أفك قيدك.

ويلهو ويمرح ويضحك.

يحاول الأسد الخروج مِن مكانه قائلا: مكانٌ يُقيّد ويفك فيه القرد لن أعيش فيه.

مجلس الكبار

اجتمعت مجموعة من الضفادع وقرروا أن يكون هناك كبير لهم يتحدث باسمهم، كلما خرج واحد منهم قفز آخر وقال أنا الكبير، واجتمع كبير الأسود وكبير الفيلة وكبير الثعالب وكبير الثعابين، وقرروا تأسيس أول مجلس للكبار، فرح الضفادع وقالوا:

لنا ممثل في مجلس الكبار، كُلّ الرؤوس تساوت.

الضفدع والحصان

تراهن الضفدع مع مجموعة من الضفادع على أنه يستطيع أن يسبق الحصان.

الضفدع: يا حصان.

الحصان: نعم يا ضفدع.

الضفدع: هل تستطيع أن تسابقني.

الحصان: أسابقك أنت! هل نسيت نفسك؟

الضفدع: يا مغرور، تعالَ وسابقني حتى هناك؛حيث البلدة التي تراها، ونسلك هذا الطريق.

وافق الحصان، ترك الضفدع يقفز أمامه ولَم يتحرك، وبعد أن توارى الضفدع بدأ الحصان يتحرك في الطريق، كانت هناك حفرة، سقط فيها الحصان وكُسرت ساقه.

الضفدع يصل إلى البلدة أولا ويقول:

مشكلتك يا حصان أنه قد أصابك الكبر والغرور.

فـيرد الحصـان: مشـكلتي ليسـت غـرورى ولا كبريائـي، مشـكلتي أننـي وضعـت نفـسي في مقارنـة معـك، وأنـت مَـن اخـترت لي طريقـي.

أرض فـيرا لم تعـد تُثمِـر، ولا تجـود بالزراعـة، جـف النهـر وتشـققت الأرض وتسـاقط ورق الأشـجار وهاجـرت منهـا الطيـور ، لَم يبـقَ في مملكـة فـيرا إلا القصـور المهجـورة وأصـوات البـوم، وأصبحـت فـيرا تبحـث عـن مَـن يُخلِّصهـا، ربـما يـأتي بعـد أعـوام أو بعـد قـرون عديـدة.

جارحي يوجه كلامه إلى استوراي:

- وماذا حدث لكلارا وأخيوليس؟

استوراي: بعـد أن هربـا مـن حـراس مـيرا وفي أثنـاء هروبهـم مـن بودسـتا في الطريـق؛ تقابـلا وطفلهـا الصغـير مـع فـيرا، عرضـت عليهـما العيـش معهـا في القـصر فوافقـا، وبمـرور الزمـن تحـولا إلى تمثالـين.

- وماذا حدث لليندا وماركو؟

- كلهم تحولوا إلى تماثيلَ.

- ألا يوجد مَن خرج من هذا المكان؟

استوراي: لقد خرج الكثيرون من هذا المكان.

جارحي: كيف؟

استوراي: هذا أمر متروك لك، إن اجتهدت فيه؛ خرجت من هذا المكان.

تأتـى فـيرا ذات الشـعر الأسـود الطويـل الـذي يصـل إلى الأرض مرتديـةً جلبابـا أزرق.

فيرا: أهلا بك، اقترب مني.

جارحي يقترب منها لكنه لَم يتمكن من رؤية وجهها.

جارحي: تبدين في غاية الحسن والجمال، دعيني أرى وجهك الجميل.

فيرا: ها هو وجهي.

يسقط شعرها، تبدو صلعاء ذات عيون بلا رموش، وفم يشبه فم الخنزير.

جارحي: أعوذ بالله!

فتضيء الشمس المكان وتختفي فيرا ومملكتها ويجد نفسه مستلقيا على ظهره أمام المغارة. ثُمّ يعود إلى منزله ويفكر في السفر، ويترك البحث عن الآثار.

الفصل الرابع

عمل الجارحي كـ (مُبيِّض محاره)، ثُمّ قرر أن يكون ذا أموال كثيرة، المهم عنده أن يراها أمامه؛ نقود كثيرة، لا يهم إن كانت حقيقية أم زائفة.

أخذ يبحث عن الذين يقومون ببيعها إلى أن وصل إليهم، يشترى الألف بربع الثمن، خاصة الفئة الصغيرة من النقود: فئة الخمسة جنيهات. لكنه خاف من أن يُكشف أمره فقرر عدم الخوض في التجارة فيها. تعرف على أحد الذين يقومون ببيعها.

الجارحي: أنا مش عايز أبيع وأشتري في الفلوس المزورة.

– أمال عايز إيه؟

جارحي: أكيد في ناس بتجيبهالكم، أنا عايز أشتغل زيهم.

– خلاص، ماشي، هعرفك على الشخص اللي بجيب منه.

جارحي يتعرف عليه.

– إنت هتنقل فلوس من محافظة لمحافظة، واحنا هنسهلك الطريق من غير ما تحس ولا تشوفنا.

جارحي: ماشي، كام عمولتي؟

– كل ما تشتغل كويس عمولتك هتزيد، بكرة نتقابل، في شنطة هتوصلها.

في اليوم التالي يعطوه حقيبة

– يا جارحي سلمها زي ما هي، ما تفتحش الشنطة.

الجارحي يقوم بالانتقال من محافظة إلى محافظة أُخرى، ويقوم بتسليمها.
تَكرر هذا الأمر مرات عديدة، كان ذلك اختبار منهم، علم جارحي فيما بعد أن الحقيبة لم يكن بها نقود، بل كانت مجرد أوراق طباعة عادية.
بعد أن اكتسب جارحي ثقتهم وبعد نجاحه في اختباراتهم زادت عمولته وتم ترقيته.
فأخبروه أنه سيذهب للسفر والعمل في الأردن، وسوف يعود كُلّ ستة أشهر، وافق جارحي.
قبل السفر قاموا بتدريبه على جميع أنواع أوراق البنكنوت ودرجاتها، كان جارحي شديد الحرص والذكاء.
سافر جارحي إلى الأردن مرات عديدة عبر البحر، يذهب فيمكث أربعة أشهر أو ستة ثُمّ يعود، يقضي شهرا في مصر ويسافر مرة أُخرى لمدة أربعة أو ستة أشهر، في كُلّ مرة تُسهّل له أمور الدخول إلى مصر، ينظر ضابط الجوازات في جواز سفره ؛ فيشير إليه بأن يمر ولا يدقق معه.
جارحي كان يقضي معظم وقته في العمل في المحارة، و في نهاية إجازته يعطونه حقيبة مرسوم عليها صورة ميكي.
كان جارحي يتلقى منهم اتصالا قبل نزوله، يحددون معه موعدا للمقابلة، يأخذ منهم الحقيبة، وتُسهّل له إجراءات إنهاء سفره.

قرر جارحي العودة إلى مصر من تلقاء نفسه دون الرجوع إليهم، ركب الحافلة، أتت إليه المضيفة ومالت عليه:

- حضرتك عايز حاجة؟

جارحي يُخرِج ورقة بمائة دولار ويضعها في صدرها:

- عايزه تيجي تقعدي جنبي إبقي تعالي اقعدي شوية.

- حاضر.

تأتي إليه المضيفة وتجلس بجواره:

-بس ده كتير قوي.

جارحي: لا كتير ولا حاجة.

- إنتَ بتشتغل إيه؟

جارحي: مِبَيَّض مِحاره.

- وبتنزل كتير؟

جارحي: كُلّ ست شهور.

تقترب الحافلة من الوصول إلى الميناء، يركب إحدى العبّارات، تمضي قرابة الساعة في البحر، وتأتي إليه المضيفة تسأله عما يريده فيشكرها.

بعد وصوله إلى الميناء في مصر ينظر الضابط في جواز سفره فيرى أختاما كثيرة.

الضابط: بتروح وتيجي كتير يعني.

- أنا لما بمل بنزل مصر أقعد شهر مع أهلي وأرجع تاني.

الضابط: إنت بتشتغل إيه هناك؟

جارحي: مبيض محاره.

ينظر الضابط في يده ولا يرى فيها أي آثار للإجهاد في العمل.

الضابط يأخذ جواز سفر جارحي.

الضابط: تعالى معايا المكتب.

جارحي: حاضر.

يأخذ جارحي حقيبته معه، يفتش الضابط جارحي ويجد معه ألفي دولار.

الضابط: لحقت تعمل ألفين دولار؟

جارحي: دي أغلبها فلوس ناس باعتينها معايا.

الضابط يقوم بتفتيش حقيبة جارحي، لا يجد فيها ما يدل على أنه يعمل في المحارة كعدة العمل، فقط يجد فيها ملابس جديدة وعطور.

تأخر جارحي في ركوب الحافلة، تسأل عنه المضيفة، فيخبروها أنه في مكتب الميناء، فتحضر كأسين من العصير وتستأذن في الدخول، فيأذن لها الضابط وينظر إليها وهي تدخل بالعصير.

- ممكن أدخل يا فندم.

الضابط: تفضلي.

المضيفة تضع العصير وتنظر إلى جارحي:

- حضرتك عايز حاجة يا جارحي بيه.

الضابط ينظر إليه ويبتسم ويوجه كلامه إلى المضيفة:

- جارحي بيه! وعلى كده إداكي تبس؟

- أيوه يا فندم.

الضابط: إداكي كام؟

المضيفة: ورقة بمية دولار.

الضابط: ورقة بمية دولار ياجارحي بيه!

ويوجه كلامه إلى المضيفة:

- على كده إنتي تعرفيه من زمان.

المضيفة: لا يا فندم، من يومين بس في الرحلة دى.

الضابط: طيب روحي إنتي.

المضيفة: بعد إذن حضرتك يا فندم.

وتخرج.

الضابط يوجه كلامه إلى جارحي:

- جارحي بيه وورقة بمية دولار!

جارحي: أنا بشتغل واللي بكسبه بصرفه على نفسي، أنا مش متجوز ، ومعنديش التزامات، وعايش حياتى على كده.

الضابط: لكن مية دولار! تعرف إن مرتبي مايجيش تلات ورقات منها؟

- زى ما قلت لحضرتك يا فندم، أنا كنت عايز أعمل معاها صحوبية وبس.

الضابط يعطيه الجواز:

- تفضل يا جارحي بيه.

ويخرج الجارحي.

اتجه الجارحي إلى الحافلة، وتأتي إليه المضيفة:

- في حاجة؟

جارحي: لا، بس عشان شاف أختام كتيرة في الجواز فكان بيسألني عن سبب كتر الدخول والخروج.

ثُمَّ تتركه المضيفة:

- بعد إذن حضرتك يا فندم.

جارحي: إتفضلي.

تمر الحافلة على إحدى البوابات الامنية في الطريق، ينظر الضابط في الجوازات التي مع السائق؛ فينادي على جارحي.

جارحي: أفندم.

الضابط: فين شنطتك؟

يعطيها له فيقوم الضابط بتفتيشها، ثُمّ يفتشه هو شخصيا؛ فلا يجد معه أي ممنوعات، ثُمّ يتركه يستقل الحافلة، يتكرر معه نفس الأمر في العديد من البوابات الأمنية، إلى أن يصل إلى بلدته.

بعد عودته اتصل بهم وأخبرهم بما حدث معه، فأخبروه ألا يتصل بهم مرة أخرى، وأن يحرق الخط ويسافر كما هو بشكل طبيعي بعد أن يقضي إجازته، وهم من سيقومون بالتواصل معه في الوقت المناسب.

في أثناء إجازته في بلدته وقع على ذراعه فكُسِرت، وقام بتجبيرها بالجبس.

مضى أُسبوعان ولَم يفك الجبس، وقرر السفر إلى الأردن مرة أخرى،

في أثناء سفره إلى الأردن؛ تقابل مع الضابط الذي قابله أول مرة في أثناء وصوله.

الضابط: ما لسه بدري يا جارحي بيه.

جارحي: زهقت من القعدة في البلد فحبيت أسافر تاني.

الضابط: ألف سلامة عليك، مش كنت تخليك شوية لحد ما إيدك تخف وتفك الجبس.

- خلاص قربت تخف، أنا بحرك دراعي كويس.

الضابط: ماشي يا جارحي بيه، إتفضل.

يصل جارحي إلى الميناء الأردني، يبحث عن حقيبته فلا يجدها، ثُمّ فجأة يراها بمفردها على سير الحقائب، راودته الشكوك في أن يكون قد تم تفتيشها تفتيش دقيق في الميناء الأردني.

يأخذ حقيبته ثُمّ يذهب إلى العقبة، يعمل بالمحارة، يقضي هناك ستة أشهر ثُمّ يعود إلى مصر، يقضي شهر ويسافر مرة أخرى، تسير الأمور بشكل طبيعي.

في الأردن

في أثناء وجوده في موقع العمل تأتي إليه سياره جيب، يقابله أحد الأشخاص:

-تعالى معانا.

- على فين؟

- هتقابل الراجل الكبير.

يذهب معهم إلى عمّان، يعصِّبون عينيه، يدخل المكتب.

الرجل الكبير: إزيك يا جارحي.

جارحي: الحمد لله، تمام يا باشا.

- ياجارحي إنت هتاخد روزمة البنكنوت دي وتنزل بيها.

يُعطي الرجل الكبير لجارحي رِزْمة ورق كانت اختبارا منه،

جارحي ينظر فيها:

- دي ورق أى كلام يا باشا، ولا ليها أي عازة، زي ما أنا متأكد برضه إن حضرتك مش الراجل الكبير.

الرجل الكبير يضحك:

- والله إنك زلمة. برافو عليك يا جارحي نجحت في الاختبار، خلاص إرجع لشغلك ولما نحتاجوك هنوصلولك، إحنا نعرفوا عنك كُلّ شي.

يخرج جارحي من المكتب، وفي أثناء خروجه يعصبون عينيه إلى أن يصل إلى ضواحي عَمّان فيتركوه.

يستقل الحافلة من عَمّان إلى العقبة، فتأتي فتاة جميلة تجلس بجواره.

جارحي: ممكن نتعرف؟ أنا جارحي من مصر.

الفتاة: أنا مايا، هلا بيك، نحبكم كتير يا مصريين.

جارحي: وإحنا كمان.

مايا: بتشتغل إيه؟

جارحي: مبيض محاره.

مايا: تيجي تشتغل معاي؟

جارحي: فين؟

مايا: في إسرائيل.

جارحي: إسرائيل!

مايا: أنا أصلا إسرائيلية وعايشة بالأردن، وعندي شركات كثيرة في إسرائيل.

جارحي: ك...اخت إسرائيل.

مايا تضحك: ليه كده؟

جارحي: عشان هي سبب كُلّ الخراب اللي في المنطقة.

مايا: ممكن رقم تليفونك؟

جارحي يعطيها رقم هاتفه.

مايا: هكلمك.

بعد أن يصلا إلى العقبة تتصل به وتتكرر المحادثات التليفونية بينهما، فتدعوه مايا إلى أحد الفنادق.

مايا: أنا عزماك يا جارحي في الفندق.

جارحي: لا شكرا، معنديش فلوس أصرفها في الفنادق.

مايا تلح عليه: أنا حاجزة لك شهر في الفندق إقامة كاملة مش هتدفع شي.

في الفندق

يوافق جارحي ويذهب معها إلى الفندق، ويقيم معها في نفس الغرفة، يبدو الجارحي أمامها على طبيعته وهدوئه، لا تبدو عليه أي مظاهر للقلق.

مايا: ماقلتليش يا جارحي إنت بجد بتشتغل إيه؟

جارحي: ما أنا قلت لك قبل كده، مبيض محاره.

مايا: مبيض محاره! مش داخلة دماغي.

جارحي: ليه؟ طيب تيجي تروحي معايا الشغل؟

مايا: لكن إنت عايش حياتك إزاي هنا؟

جارحي: زي ما انتي شايفة، بشتغل وأتفسح واللي بشتغل بيه بصرفه، مبحبش يكون عليا أي التزامات.

مايا: والله إنك زلمة.

تمر أيام في نفس الغرفة، وجارحي لم يغير من طريقة كلامه، ولَم تلاحظ عليه أي شيء جديد، وفجأة يتلقى اتصالا:

- خلي بالك يا جارحي؛ اللي معاك دي مخابرات أردنية.

جارحي يسمع المكالمة ويرد:

- لا النمرة غلط مع السلامة.

يقضي شهر معها في نفس الغرفة، تحاول أن تستدرجه في الكلام، لَم يحكِ لها أي شيء سوى طبيعة عمله في المحارة.

ينتهي الشهر وتتركه وتنقطع اتصالاتها به.

بعد أن يقضي مدته في الأردن يعود إلى مصر، تمر أموره بشكل طبيعي، ثُمّ يسافر إلى الأردن مرة أخرى.

يمكث شهور في الأردن فتأتي سيارة جيب إلى موقع عمله يأخذونه معهم.

منذ أن رأى جارحي السيارة وهي آتية علم أنها تابعة للذين يعمل معهم

في التهريب.

ينزل من السيارة رجل يتحدث مع الجارحي، يبدو أنه كان يعرفه جيدا، لكن بالنسبة إلى الجارحي كانت هذه هي أول مرة يراه فيها:

- تعالى، إنت هتقابل الراجل الكبير.

جارحي: ماشي.

يركب معهم، يدخل المكتب معصوب العينين، ثُمّ يتركوه يرى.

الرجل الكبير: أهلا يا جارحي.

جارحي: أهلا يا باشا.

الرجل الكبير: إنت هتنزل المرة دى يا جارحي عن طريق الجو مش عن طريق البحر.

يأخذ جارحي حقيبة بها أوراق بنكنوت، تُسهَّل له إجراءات سفره، يركب الطائرة، ينزل في أحد المطارات، يقابله أحد الضباط، ينظر في جواز سفره، فيعطيه له ويشير إليه بأن يمر من أمامه، يتكرر هذا لمرات عديدة.

شركة استيراد وتصدير

يشتري جارحي منزلا جديدا ويشترى سيارة ويتزوج، وينصحوه بأن ينشئ شركة للاستيراد والتصدير، تمر الأيام وتكبر شركة الجارحي للاستيراد والتصدير، أما عن حياته الخاصة؛ فقد أنجب ولدين وبنتا. عمل الجارحي في مجال الاستيراد والتصدير بمساعدة شركائه في الخارج، كان يدفع ما عليه من ضرائب مقررة على أرباح الشركة، ويبدو أمام

الجميع بالرجل الشريف الذي يساهم في عمل الخير.
أغرق الجارحي البلد في المنتجات الصينية، يُدخِل سفينةً بالطرق الرسمية ويدفع عنها الضرائب، ويُدخِل عشرةً مُهرَّبين من الجمارك عن طريق الحدود الغربية والجنوبية؛ كروت ذاكرة، قطع غيار، هواتف نقالة. كبرت شركة الجارحي فقرر الاستثمار في مجال السياحة، تكلم معه أصدقاؤه بالخارج أن يَدخُلوا شركاء معه في إنشاء العديد من القرى السياحية.
زادت أموال الجارحي فقرر إنشاء جامعة خاصة، «الجارحي يونيفرستي»، تستطيع الحصول منها على شهادة الماجستير والدكتوراة دون الحضور.
(أون لاين)، حتى أون لاين أو عن طريق التواصل بالانترنت وشبكة المعلومات الدولية، ليس من المهم أن تجتهد في دراستك طالما أنك تدفع الرسوم، في النهاية ستحصل على الشهادة بشكل رسمي.
خرَّجت جامعة الجارحي العديد من الأطباء والمهندسين والمعلمين، حصل الجارحي على العديد من شهادات الدكتوراة الشرفية والفخرية وغيرها.
مرت الأيام وكبر الجارحي وكبرت ثروته، أنشأ قنوات فضائية وشركات توظيف أموال (استثمر أموالك مع الجارحي.. مع الجارحي؛ أنت دائما في أيدٍ أمينة).

سمر ابنة الجارحي تخرجت من جامعة والدها، تهوى المغامرة، ربما ورثت شيئا من والدها في صفاته، لكنه هذه المرة على طريقتها.
عملت سمر مهندسة بترول في أحد المواقع بالصحراء الغربية، تعرفت

على شاب وسيم في أثناء مشاجرة مع مشرف الموقع، كان هذا الشاب يعمل مقاولا صغيرا.

الشاب: الناس اللى أنا جايبها دي مين هيديها يومياتها النهاردة ؟ إنتوا كده معطلينا عن الشغل.

– مش هينفع تشتغلوا النهاردة.

الشاب: كده حساب الناس دي عندكم.

ويشتد الحديث.

تأتي المهندسة سمر: في إيه:

الشاب: معطلينا عن الشغل، مين يتحمل يوميات الناس اللي أنا جايبها؟

المهندسة سمر: خلاص أنا هديلك حسابهم آخر النهار، أنت بتقعد فين؟

الشاب يُدعى قاسم.

قاسم: أنا بقعد على قهوة ولاد البلد جنب الموقف.

المهندسة سمر: خلاص أنا هجيلك هناك.

قاسم: ماشي.

ينتظرها قاسم على مقهى (ولاد البلد) فيرى سيارة تخرج منها المهندسة سمر، فينظر إليها كُلّ الموجودين بالمقهى، فيخرج إليها قاسم.

المهندسة سمر: تعالى نقعد في عربيتي.

قاسم: لا، إتحركي إنتي من هنا لآخر الشارع وأنا هاجي وراكي بعربيتي.

يبدو أنه قد شعر بالحرج من نظرات الموجودين بالمقهى. وبدأت سمر تُعجب به، وبعد أن وصلا إلى نهاية الشارع تعطيه سمر حساب العمال

وكارت عليه رقم هاتفها، وتطلب منه رقم هاتفه.

تتصل به يوميا، ثُمّ تتطور المحادثات بينهم وتسأله عن تعليمه، فيخبرها أنه أقل من المتوسط، فتعرض عليه الالتحاق بمدارس وجامعة والدها، وتُسهِّل له كافة الإجراءات.

حصل على إحدى الشهادات من جامعة والدها، دائما ما كانت تتحدث مع والدها عنه، اتفقت مع قاسم على الزواج، تكلمت مع والدها الجارحي بيه.

سمر: قاسم عايز يتقدم لي يا بابا.

الجارحي: قاسم مين؟

سمر: شاب بيشتغل معايا في الموقع.

الجارحي: إنتي باين عليكي قعدتك في الصحرا لحست مخك.

سمر: ليه يا بابا؟ دا إنسان محترم.

الجارحي: بلاش كلام فاضي.

تصر سمر على الزواج من قاسم، وتحاول إقناع والدها. في النهاية يطلب منها رقم هاتف قاسم.

يتصل الجارحي بقاسم.

قاسم: ألو.

الجارحي: إبعد عن طريق بنتي، على آخر الزمن أديها لواحد جربوع زيك.

قاسم: بنتك عندك.

تسمع سمر المكالمة فتسوء حالتها النفسية، فتقنع والدتها الجارحي أن يتم زواجهما.

يتزوج قاسم من سمر وتمر الأعوام وينتقل للعمل مع والدها في الاستيراد والتصدير.

فهم قاسم طبيعة عمل والدها، ومع كثرة علاقاته قرر أن يطور نشاطه بتهريب السلاح إلى الصعيد مسقط رأسه.

قام بتهريب كميات كبيرة من الأسلحة قادمة من الحدود الغربية والجنوبية بعد سقوط نظام القذافي.

قاسم تغيرت شخصيته، أصابه الكبر والغرور.

نزل قاسم وزوجته إلى الصعيد كما كان يعتاد زيارة أهله هناك.

جلس أمام دار والده بالصعيد، أتى ماسح للأحذية يمسح حذاء قاسم.

نادى ابن عم قاسم على ماسح الأحذية، وتفوه بكلمات في حق قاسم، كان ابن عمه لا يطيقه من تكبره وغروره، استشاط قاسم غضبا لأن ماسح الأحذية تركه وذهب يمسح حذاء ابن عمه، يبدو أنه قد شعر بأن كبرياءه قد جُرح؛ تشاجر مع ابن عمه وتشابكا بالأيدي، أخرج سلاحه، وأطلق النار، أصابت عمَّه رصاصةٌ بالخطأ؛ خرج أبناء عمه بالسلاح، تبادلوا إطلاق النار؛ أُصيبت زوجة قاسم المهندسة سمر ، وأصيب والد قاسم وفارقا الحياة.

قُبِضَ على قاسم وابن عمه،

في قسم الشرطة يسأله الضابط.

الضابط: مش هتقول السلاح اللي إنته بتجيبه جايبه منين؟

قاسم: معرفش حاجة؟

الضابط: طيب خليك فاكر؛ السلاح ده.. اللي إنت بتجيبه وبتاجر فيه؛ اتقتل بيه والدك وعمك ومراتك.

الجارحي بيه يتركهم جميعا ولا يسأل عنهم، فيعترف قاسم على طبيعة عمل شركات الجارحي؛ فيُحَكم على قاسم وابن عمه بالإعدام، وتستدعي التحقيقات الجارحي، فيذهب للتحقيق، ثُمّ يُفرَج عنه بكفالة مالية كبيرة نظير تهم الفساد.

يدخل الجارحي كُلّ يوم غرفة سمر، يجد ألعابها وهي صغيرة، يشرد بتفكيره، يتذكر أيام طفولتها، ثُمّ يأتي موعد الجلسة النهائية، ويُحكَم عليه بالسجن المؤبد ومصادرة ممتلكاته.

يقوم الجارحي بعد مرور عام بالطعن على الحكم؛ وتُخفف العقوبة لعشر سنوات، لكنه لَم يعد يمتلك من المال إلا القليل، ويُودع في السجن.

الفصل الخامس

أوقات صعبة

يَدخُل فناءً كبيرا، وتُسكَب مياه الصرف على أرضية المكان، ويُطلَب من الجميع التجرد من ملابسهم، هنا الجميع صدورهم عارية إلا من مآزر تُداري عوراتهم، ومَن يرفض؛ كان يسمع وابلا من السُباب له ولأهله، وبالأخص والدته. ويُطرَح أرضا ويُداس عليه بالأحذية، ويسيل الدم من جنباته، ويُطلَب منه أن يختار لنفسه اسم امرأة لينادى به عليه، ومن لا يريد أن يسمع ولا يتعرض لأذاهم فعليه الانصياع لأوامرهم، الكل يتعرض لأشعة الشمس الحارقة، الطبيب يتفحصهم جميعا ويعزل من بدا عليه أنه أجرى عملية جراحية، ويسألهم عن من يعاني فيهم من أمراض مزمنة، ويأتي آخر ويُخرِج من بينهم من على جسده أي وشم أو أي آثار لجروح قديمة، ثُمّ يعزلهم في جانب معين من المكان ويبرحهم ضربا، ثُمّ يجعلهم يتقيئون ما في بطونهم ويطلب منهم إجراء حمام في الفناء، ثُمّ يقوم بفحصه؛ ربما يخفون في بطونهم أكياس من المخدرات أو الحبوب المخدرة مخافة أن يتعاطوها داخل المكان. ثُمّ يُطلَب من الجميع الانبطاح أرضا وهم عرايا، يصرخ أحدهم.

«انا راجل كبير متعملوش فيا كده»

فيرد عليه:

«عشان إنت راجل كبير وابن...ه إيه اللى جابك هنا؟ إحنا اللي جبناك ولا إنت اللي جيتلنا؟»

يطول انبطاحهم أرضا، والشمس تحرق ظهورهم، وأرضية المكان تشوي صدورهم؛ فيصرخ أحدهم:

«أنا ضهرى تعبان حرام عليكم»

فيأتي إليه أحدهم:

«فين تاعبك ضهرك ده؟ وريني كده.»

ثُمَّ يعتلي ظهره بحذائه وهو يقول: «عشان ضهرك يطقطق كويس.».

يدعو الله أن ينجيه منهم، ويردد الاستغفار، ثُمّ ينظر إلى مجموعة معه من بلدة بجواره، ويقول لهم بهمس: «آدي أخرة المشاكل والسلاح وصرمحة العائلات.».

ثُمَّ يبتسمون لبعضهم، ويهمسون لبعضهم بألقاب عائلاتهم:

«عوم في أثار البول يا أبو...»

ويرد الآخر: «عوم زين يا أبو...»

بات أول ليلته، وكان قد أخذ على عاتقه أن يُخرِج قلبه من صدره ولا يضعه معه في تلك الغرفة، بل إنه قرر أن يتخلص من أي عاطفة، فكل الأحاسيس بالنسبة إليه قد ماتت، فلا يمكن أن يطيل التفكير في أي شخص عزيز عليه؛ حتى لا يشعر بالضيق. بل إنه تعامل على أنه في عالم جديد وعليه استكشاف طرق الحياة فيه.

في الصباح الباكر فتح الشاويش باب الغرفة وطلب استخراج كيس القمامة منها، أحد الموجودين كان يقوم بالعمل في استلام الطعام، وتوزيعه على الموجودين في الغرفة بالتساوي، وإخراج كيس القمامة، وتنظيف الحمام والمطبخ يوميا مقابل علبة من السجائر كُلّ يوم. وعلى كُلّ فرد أن يقوم بهذا العمل كُلّ على حسب دوره، ومَن لا يريد أن يقوم بهذا العمل؛ فإنه يتوجب عليه إعطاء علبة من السجائر ليقوم بهذا العمل بدلا عنه، وكانت السجائر تُشترَى في الزيارات مِن كافيتريا السجن، أو يُحضِرها الأهل معهم في الزيارة. ثُمّ نادى الشاويش على شخص، شخص آخر في الغرفة يُسمى (الناباتشي)، أحد السجناء، وهو المكلف بالتعامل مع الحكومة، من حيث أنه إذا حدثت أي مشكلة بين النزلاء في الغرفة؛ فإنه سيُسأل عنها وسيكون بمثابة الشاهد عليها.

استيقظ حوالى الساعة السابعة، وانتظر دوره في دخول الحمام، فمع كثرة العدد في الغرفة التي يبلغ طولها ثمانية أمتار وعرضها خمسة أمتار ويوجد بها أكثر من خمسة وثلاثين فردا، وبها مطبخ صغير وحمامين.

هنا كُلّ شيء بنظام، فدخول الحمام بنظام كُلّ على حسب دوره، وكذلك إعداد الطعام وغسل الآنية وغسيل الملابس ونشرها.

رآه (الناباتشي) وقد استيقظ من نومه، فطلب منه أن يحجز دوره في الحمام، ويسأل عن آخر شخص حجز ويحجز منه دوره.

الجارحي: مين آخر واحد داخِل الحمام.

رد عليه أحدهم: أنا.

فأخبره الجارحي: أنا بعدك.

ثُمَّ استيقظ شخص آخر : صباح الخير. مين آخر واحد داخل الحمام؟

فرد عليه الموجودين: صباح الخير.

بعدها رد عليه الجارحي: أنا.

فرد عليه ذلك الشخص: أنا بعدك.

وهكذا كان كُلّ شيءٍ على هذا المنوال، من حيث استخدام الحمام ومن حيث إعداد الطعام.

فقد كان إعداد الطعام يتم على حسب المجموعات، فكل مجموعة تتكون من خمسة أفراد أو أكثر، وذلك حسبما يشعرون بالارتياح والتفاهم فيما بينهم.

يفتح الشاويش الغرفة ويطلب من الفولي ناباتشى الغرفة التمام من حيث عدد الموجودين بها، وكم شخص خرج للزيارة، فيقوم بإثبات ذلك في دفتر معه، ويستلم الفولي الطعام ويقوم بتوزيعه بالتساوي على الموجودين مقابل علبة من السجائر يعطيها له كُلّ من يخرج للزيارة بالتراضي مقابل عمله، كان اختيار الناباتشى حسب أقدميته في الغرفة، وكذلك حسب اتفاق الموجودين بها على اختياره.

ثُمَّ يقترب موعد صلاة الظهر، فيستعد البعض للوضوء كُلّ على حسب دوره، والصلاة بداخل الغرفة، البعض منشغل في الاستعداد للصلاة والوضوء، والبعض الآخر منشغل في إعداد الطعام، والبعض منشغل في مشاهدة التلفاز داخل الغرفة، والبعض الآخر يتسلى بالألعاب الورقية

(الكوتشينة)، والبعض يقرأ القرآن. وقبل غروب الشمس يأتي الشاويش ثُمّ يطلب من الناباتشي التمام وإثبات عدد الموجودين في الغرفة في دفتره. في المساء تنشغل مجموعة بتعاطي الحشيش، والبعض الآخر في الحبوب المخدرة، وبعد ذلك يقومون بالشجار مع بعضهم نتيجة تأثير المخدرات عليهم، كانوا يقومون بإدخال المخدرات إلى الغرفة في الزيارات بحيل لا تُكتشَف في أثناء تفتيشها، فكان البعض يقوم بابتلاعها في أثناء تسلمها من أهله في الزيارة أو في أثناء استخراجها من بين أصناف الطعام، فيقوم بابتلاعها وعند عودته يقوم باسترجاعها من بطنه مرة أُخرى بعد أن كانت ملفوفة في كيس من النايلون صغير جدا يصل حجمه إلى عقلتي إصبع. وكان الجارحي لا يخالط هؤلاء.

في الصباح الباكر يكون الروتين اليومي من استخراج أكياس القمامة واستلام الطعام وتمام الغرفة من حيث عدد الموجودين بها والخروج للزيارات التي كان يحق لكل فرد أن يزوره أهله مرة كُلّ أسبوعين، أيضا كان تُفتح الغرفة يوميا للتهوية لمدة ساعة، وكان البعض يخرج للتمشية أمامها في طرقة صغيرة عرضها ثلاثة أمتار وطولها حوالي عشرين مترا. كانت الزيارة وقتها حوالي نصف ساعة. هكذا كانت أيامه كلها تشبه بعضها البعض؛ روتين يومي متكرر، أضف إلى ذلك وصوله نبأ وفاة جدته، وبعدها بعام نبأ وفاة والده.

مرت السنوات إلى أن قضى فترة عقوبته وخرج من السجن.

الفصل السادس

رحلة البحث عن جنات

بعد خروجه من السجن يشعر أن الدنيا تغيرت، وأنه في عالم غير الذي تركه قبل دخول السجن وغير عالم السجن، فيبدأ البحث عن الحب والحنان والاهتمام، والذي دائما ما كان في خياله، وكانت جنات هي فتاة أحلامه التي يتمناها ولا تفارقه، فكلما كان يراها كان يراها في صورة جنات التي رسمها في خياله لفتاة أحلامه ولحبه الذي وجده وسرعان ما فارقه وضاع منه، لكنه ما زال يبحث عنه.

يركب القطار قاصدا موطنه وبلدته، ويبدأ في التحرك، ثُمّ يسرع القطار، وتزداد سرعته أكثر فأكثر، فيتحول شكل القطار إلى أشبه بقطار للبضائع، ويجد نفسه وحيدا فوق إحدى العربات، ويرى الدنيا تدور من حوله، المنازل وأشجار النخيل والسيارات والحقول، الكل يلف ويدور. ويشعر هو بدوار، وتزداد ضربات قلبه، لا يدري إلى أين هو ذاهب! فالمكان ليس هو المكان، يجول في خاطره سؤال أين أنا! لكنه لَم يجد إجابة، وفجأة يُهَدِّئ القطار من سرعته ويقف عند إحدى المحطات، لكن هذه المحطة لا توجد لها أي معالم أو لافتة توضح له أين هو؛ فينزل مسرعا من القطار ويتجول في المدينة يسأل الناس أين هو، ولا أحد يجيبه، فيمشي

في طريق ينتهي به إلى حقول، فيمشي بين الحقول فيعترضه جدول ماء، لا يستطيع عبوره، فيعود ليبحث عن طريق آخر، فيمشي فيه إلى أن يصل إلى النهر، فيجلس على حافته لا يدري أين هو وكيف الرجوع، فتغرب الشمس ويخيم عليه الليل، ظلام شديد وليل طويل يشتاق لأنيس يشكو إليه، ربما يدله على إجابة لسؤاله. يظهر القمر ويبدأ الظلام في الانحسار وتنعكس صورة القمر على صفحة النهر، فيضع يده على خده وينظر إليها. ويمر من جانبه شخص أشبه بالمجنون، يتمتم بكلام لَم يفهم منه سوى كلمة «لا تهملها»، لكن يهمل من؟ وأين هو؟ أسئلة تساوره في نفسه ولا يجد لها إجابة، فينظر إلى صفحة النهر مرة أُخرى، وتظهر أمامه كتابة على صفحة النهر وعلى ضوء القمر تقع على قلبه وقع السحر ، فيشعر معها بالاطمئنان والهدوء والراحة والأمان.

بينما هو جالس على حافة النهر، يشعر بالوحدة ولا يجد إجابة للأسئلة الكثيرة التي تجول بخاطره، تظهر مرة أُخرى أمام عينيه كتابة تقع وقع السحر على قلبه، تسحر عينيه، وقلبه ينجذب إليها، يشعر بالراحة والأمان، ويخفق لها قلبه بمجرد رؤية حرف صغير، يالله من سحر عجيب فكيف بمن يكتبه؟ وكيف لو حدثه؟ وكيف لو رآه؟ هل سيكون نفس تأثير هذا السحر أم تُفك طلاسم تلك الحروف وينتهي تأثيره؟ تزداد حيرته ويزداد تعلقه بمجهول لا يعرفه ولا يعرف لماذا يُجذب إليه بتلك القوة العجيبة، فيظنها جنات تزوره تخفف من آلامه ووحدته وحيرته. ويراها من بعيد مع ضوء القمر على صفحة النهر، ملكة تحدثه فيطلب الوصول إليها، لكنها تجيبه باستحالة الوصول إليها فينشدها.

يا روح تزور عالمي المهجور
فتأخذني إلى ممالك من نور
وحروف تتعانق على
كفينا في سطور
وخيال يسرح بين
ضحكات منذ دهور
فدلني كيف الوصول
فأنا تائه بين الدور
قالت محال أن تصل
فأنت في عالم مقبور
حتى الكلمات تلاشت
خلف حجاب مستور

ثُـمَّ يخفـت ضـوء القمـر و تختفـي مـن أمامـه، مـن عـلى صفحـة النهـر، فيظـل دومـا في حالـة تفكـير عميـق، مـا هـذه الحـروف التـي تجذبـك إليهـا بقـوة عجيبـة، حـروف غـير الحـروف، وكلـمات غـير الكلـمات، أو ربـما كلـمات يسـتخدمها الكثـيرون، لكـن لمـاذا في هـذا المـكان بالتحديـد لهـا أثـر عجيـب! تحـول نهـاره إلى ليـل وليلـه إلى نهـار، لا طعـم لليـوم دون رؤيـة تلـك الحـروف، ينتظرهـا مـع ضـوء القمـر فتجيبـه.

بضـوء القمـر تظهـر بعـض الحـروف على صفحـة النهـر، فينجـذب إلى سـحرها

العجيب، أي سحر هذا الذي يسيطر على تفكيره ويزيد من شغفه لمعرفة من وراء تلك الحروف! فيناجيها:

أيتها الحروف الجميلة التي شغلتِ فكري ووجداني، من أنتِ بالله عليكِ؟ وكيف الوصول إليكِ؟ هل أنتِ قادمة من جنات؟

فتجيبه بأن مملكتها لاتقبل الغزاة وأنها محاطة بسياج قوي لا تسمح لأحد بالاقتراب منها أو الدخول إليها.

فيجيبها بأنه لا توجد مملكة تنغلق على نفسها وتغلق حدودها ومعاملاتها كافة، ولا بد أن تفتح حدودها كنوع من أنواع المعاملات والتبادلات.

فتجيبه: وماذا تريد من مملكتي؟

فيجيبها: أريد ضم مملكتينا وإقامة تعاون مشترك بيننا.

فيسمع ضحكاتها قادمة من آلاف الأميال.

وترد عليه: لا يجوز لك ذلك، دعني الآن فأنا أشعر بالتعب الشديد والصداع.

فيجيبها: هل تقبلينني قائدا لجيوشك؟ وسأرسم لك خطة، وأُولى مهامي هي إعلان الحرب يا جنات على الصداع.

فتجيبه بضحكاتها التي يسمعها قادمة من آلاف الأميال:

- يبدو أنك قائد ذكي، علمت مني بعض الأمور دون أن أصرح لك بها، لكنني لست جنات.

فيجيبها: أشعر أنكِ جنات، فتاة أحلامي، فلا تقلقي يا ملكة القلوب، ويا سحر العقول.

وينشدها:

ما بين السطور

ممالك وقصور

وملكة القلب في

هواها مأسور

والفكر في البعد عنها

بعيد عن النور

والجمال قبح في البعاد

وإن كان مثل الحور

قالت أراك وقعت تحت

تأثير الكلمات كالمسحور

فقلت حروفك طلاسم إن

رأتها العين يصبح القلب مأسور

لم يعد هناك طعم للأيام بدون تلك الحروف التي لطالما رأتها عيونه رقص بها قلبه وسرحت فيها أفكاره وساورته الكثير من الأسئلة؛ من يا ترى وراء تلك الحروف؟ وماذا لو تكلمت؟

أصبحت تلك الحروف بمثابة الروح التي بلا جسد، لَكَم تعلقت روحه بها وأصبح لا يطيق الابتعاد عنها، فكم كانت سرعان ما تفهمه وتحاوره بأسلوب يجذبه إليها ويأخذه إلى عالم آخر، ثُمّ تختفي تلك الحروف ويظل يجلس في مكانه ينظر إلى النهر وينتظرها وينشد:

متى تأتي يا يوم اللقاء؟
لتجمع من أصابه الحب بداء
فالحب رماني بسهم
وليس لي غيرك دواء
فأنا أنتظر حبيبتي
وقمري كُلّ مساء
فكلما خيم الظلام عليّ
تذكرت وجه الضياء.

في البعد عنها لا تحلو أيامه وكأنها أخذت روحه معها وينتظر عودة روحه إلى جسده. ما أطول أيام وليالي البعد، ينتظرها كُلّ صباح ليقول لها طاب صباحك، وليظل يومه سعيدا بها.

يجلس على النهر وينشد:

صباحك عطر

وورود ورياحين
رغم كُلّ المسافات
في الوجدان تبقين
ورغم كُلّ الأفكار
أنتِ في عالمي يقين
فأنتِ موطني وعشقي

وإليك يأخذني الحنين
يا فرحة عمري
ويا حلم السنين
إن رحل كُلّ العالم
عن روحي لاترحلين.

فتجيبه: صباحك ورد يا عطر الورد.

فتطير روحه ترفرف وتحلق في كُلّ مكان لا تسعه الدنيا. حروف الدنيا، بل حروف كُلّ اللغات لا تستطيع وصف سعادته بأربعة كلمات منها، يا الله ماذا لو أطالت الحديث معه؟ هل سيختلف إحساسه أم سيزيد حبه لها؟ لكن حبه لَمَن؟ وهو لا يرى سوى حروف، ولا يسمع صوتا؟ ولا يرى جسدا؟ هل هو حب لروحها؟ لا يعني له الجسد أي شيء، ولا تهمه إن كانت ما زالت جميلة أم لا، كُلّ ما يهمه هو أن تكون بجواره، لا تفارقه، تشاركه أفراحه وأحزانه.

يكتب إليها في ورقة أغنية ويلقي بها في النهر، فتجيبه: وماذا تقصد بها؟ أجبني بأنك لا تقصد أي شيء، فقد بدا لى أنك قد أسأت فهمي.

فيجيبها: لا يمكنني إساءة فهمك يا ملكة القلوب.

فترد عليه: إنني لست ملكة، بل أنا إنسانة عادية.

فيرد عليها: أرغب في رؤيتك وسماع صوتك.

فتجيبه: ماذا تقصد من تلك الرسالة؟ وقل لي إنك لا تقصدني بها حتى لا

يكـون هـذا هـو آخـر ظهـور لحـروفي أمامـك.

فـيرد عليهـا: بـل أقصـدك أنـتِ، لمـا شـعرت أنـك تحبـين تلـك النوعيـة مـن الغنـاء.

فترد عليه: لا يجوز لك ذلك.

فيسألها: هل أنتِ مخطوبة؟ فتضحك وتجيبه بلا.

فيسألها: هل أنتِ متزوجة؟

فتجيبه: ليس هذا شأنك.

وتمـر أيـام يتبـادلان فيهـا اهتـمام كُلّ منهـما بالآخـر والسـؤال عنـه، ثُـمّ يطلـب منهـا أن تظهـر لـه وتقابلـه، ويسـألها: مـن أنـتِ؟

فتجيبـه: إنـك لا تعلـم عنـي شـيئا، ولـدي الكثـير لا يمكننـي البـوح بـه، أنـا الأحـزان والهمـوم تغرقنـي وتجعلنـي دائمـة التفكـير.

فيسألها: هل تعانين من مشكلة ما؟

فتجيبـه: أجـل، مشـكلة منـذ سـنوات طويلـة، هـون عليـك واتركنـي وشـأني، ولا تشـغل نفسـك بأمـوري الخاصـة، فلقـد وضعـت لنفسـي سـياج ولا أسـمح لأحـد باقتحامـه.

فيرد عليها: كما يحلو لكِ، كنت أتمنى أن أشعر بأنكِ على ما يرام.

فترد عليه: أشكرك على اهتمامك. ثُمّ تختفي.

يظـل جالسـا ينظـر إلى صفحـة النهـر وحروفهـا قـد مـلأت فكـره ووجدانـه، يشـعر بانجـذاب شـديد نحوهـا ولا يـدري مـا سـببه! ربـما تكـون الحالـة التـي هـي عليهـا مـا جعلتـه يتعاطـف كثـيرا معهـا. ويظـل ينظـر إلى النهـر عـلّ

حروفها تظهر من جديد، وإذ به يرى كتابات «طاب صباحك، السعادة لقلبك.». فيجيبها: طاب صباحك والسعادة لقلبك أيضا، يومي سعيد ما دمت قد رأيت حروفك، فكل هم سيزول، وينشدها:

وروحي لروحها عاشقة

يرفرف في هواها الفؤاد

والعين في عشقها

تهوى السهاد

والفكر مشغول بغزال

رغم البعاد

أنا عاشق لحروفك

ومشاعري لك مداد

أيا ريم البيداء

هل لنا من لقاء

أم أصبت القلب

فبدونك كيف الشفاء

أنا العليل بعيون

تسري في الروح والدماء

أحبك روحا وفكرا

وعشقي لروحك هو الدواء.

في اليوم التالي تخبره بأنها تشعر ببعض الآلام، وربما ستذهب إلى الطبيب لإجراء عملية جراحية، ثُمّ تختفي.

فيظل قلقا عليها، وطوال الوقت دائم التفكير فيها، ثُمّ تعود فتخبره بأن الطبيب قد أعطاها بعض الأدوية، وربما ستُشفى قريبا، ولا تحتاج لإجراء أي جراحة، فيسأل عنها كُلّ يوم، ويتابع حالتها ليطمئن عليها من خلال حروفها التي تظهر له من حين لآخر على صفحة النهر. أي حب وتعلق هذا الذي دون أن يرى حتى ملامح وجهها أو يسمع صوتها! يا له من انجذاب شديد لروح! كلما اشتاق إليها أتت إليه حروفها على صفحة النهر.

يهتم بها كثيرا كروح ولا يعني له جسدها إلا القليل، كُلّ حب لها هو لروحها وأحاسيسها وأسلوبها ورقيّها وثقافتها، أما جسدها فلم يفكر فيه وأنشد:

إليكِ أكتب وسأكتب دوما
حروفي وكلماتي
على جسر من الورود
لقلبك حتى مماتي
مع نسائم الليل أرسلها
لَمن أنارت حياتي
برقتها وابتسامتها
ونظرتها أنسى آهاتي

سأكتب إليك حروفي
على لحن قلبي وأنّاتي
ففكرك وروحك
توأم روحي وذاتي
مع نسائم الليل أرسل
إليكِ حروفي وكلماتي
على جسر مِن الورود
لقلبك حتى مماتي.

علم منها أنها تهوى القراءة؛ فازداد حبه لها، وأراد أن يقابلها وتظهر له، فعرض عليها أن يتقابلا في متجر كبير للكتب، فضحكت ورفضت مقابلته، فأخبرها بأنه لا يهمه شكلها، المهم هو جوهر الشخص نفسه، كُلّ ذلك ليتأكد إن كانت هي جنات أم لا. فازدادت ضحكاتها، فلما سألها عن سبب ضحكاتها، أجابته بأنه قد ظن أنها ليست جميلة، مع أنها على عكس ذلك، ثُمّ سألها عن إخوتها وأسرتها فأجابته بالقليل عنهم.

هي: أشعر بالصداع.

هو: سأقود حربا على الصداع

هي تضحك: المشكلة في التفكير.

هو: نغير التفكير، أرأيتِ أولى أسلحتي في حربك على الصداع؟

هي: أنتَ محارب قوي.

هو: متى سنتحدث ثانية؟

هي: بالليل.

ثُمَّ يعود ليحدثها في لحظة غروب الشمس..

هو: الليل قد بدأ يا ملكتي.

هي تضحك: ليس بعد.

هو: لا الليل بدأ.

هي: إذن عند منتصف الليل.

هو: يا ملكتي، عند منتصف الليل سيأخذك النوم وستجدينني أخوض حربا أُخرى على النوم.

هي تضحك ثُمّ تجيبه: لا.

هو: هل تحبين الشعر؟

هي: لا.

هو: كيف ذلك؟

هي تضحك: أحبه جدا.

هو: أعلم أنك تحبينه، لكني ذهلت وقلت في نفسي ما الذي غير أحوالها!

هي تضحك: أحوالي كما هي.

ثُمَّ تخبره أن هناك مجموعة من الكتب تنوي شراءها، ثُمّ يصف لها مكانا لتشتريها منه، وهناك سيقابلها، فترفض، فيخبرها بأن تعدها مجرد صدفة.

هي: صدفة مقصودة، ولا تجوز.

هو: المكان عام، وما يهمني هو فكرك وثقافتك وعقلك، ولا يهمني كيف

يكـون شـكلك وصورتك.

هي: أنا لست قبيحة، ولست بحاجة لأثبت لكَ ذلك.

هـو: سـتثبت لـك الأيـام أننـي أُقـدر الـروح والجوهـر أكثـر مـن الشـكل الخارجـي.

هي تضحك.

هـو: غالبيتكـن يفكـرن أننـا أكثـر مـا يهمنـا هـو المظهـر الخارجـي وليـس الجوهـر.

هي تضحك: أنا لست كالأخريات سيدى.

ثُمَّ تضحك.

هو: ما الذي يضحكك.

هي: ضحكت لأنك ظننتني لست جميلة ومحرجة من أن أجعلك تراني.

هو: عيناك خضراوتان؟

هي تضحك.

هو: ذات لون عسلي؟

هي: أبدا.

هو: سمينة؟ نحيفة؟ ثقيلة؟ خفيفة؟

هي تضحك: لن أجيبك لأنك تتذاكى عليّ، أستأذنك.

هو: متى ستحدثينني؟

هي: بالليل.

هو: تناولتِ طعام العشاء.

هي: لا أتناوله.

هو: إذن لست ثقيلة.

هي: لن أجيبك.

وتضحك.

هـو: المهـم اجعـلي لنفسـك نظامـا في الأكل، ربـما يكون عـدم انتظامـك في الأكل هـو مـا يجعلـك تشـعرين كثـيرا بالصـداع، أو قـد يكـون قـد سـبب لـك ذلـك حالـة ضعـف، ولا تفكـري كثـيرا.

هي: سأحاول، وأنت لا تعلم أي شيء.

هـو: بالنسـبة إلى الشـكل؛ لا يهمنـي، المهـم الـروح التـي تطـير في الهـواء وأتكلـم معها الآن.

هي تضحك.

هو: هل أنت غاضبة مني؟

هي: لست غاضبة، لماذا تقول ذلك؟

هو: أخشى أن أكون ضايقتك.

هي: لا أبدا.

ثُمَّ يسألها عن إخوتها وأهلها، فتجيبه بالقليل عنهم.

هي: لى أخت تزوجت منذ فترة قريبة، العاقبة لكَ.

هو: ولكِ.

هي تضحك.

هو: ما الذي يضحككِ؟

هي: أخبرتك أنني لا أرغب في الحديث عن نفسي.

هو: إذن أنتِ متزوجة؛ لذلك ضحكتي لمّا قلت العاقبة لكِ.

هي: ما زِلت تسأل.

هو: قولي لي الصراحة حتى أعلم مع مَن أتحدث، وكيف سيكون حديثي معكِ .

هي: لا يهم، المهم العقلية التي تحدثك.

هو: عقلية عسل نحل في زجاجة مغلقة.

هي تضحك: هل تبحث عن عروس؟

فسألها إن كانت متزوجة أم لا، فضحكت وأجابته: هل تبحث عن عروس؟

فأجابها: نعم.

وبعد مرور أكثر مِن أسبوعين مِن تبادل للاهتمام، ردت عليه ثانية بأنها ليست هي التي ينشدها، فلما سألها عن السبب لم تجبه، فازداد غضبه وأخبرها بأنه جاد في طلبه، وأنه متزوج أيضا من أخرى، فلما علمت ذلك أخبرته بأنها لن تُظهِر له حروفها مرة أُخرى، فلا تريد أن تكون كشيطان يفرق بينه وبين زوجته، فأخبرها بأنها ليست شيطانا، بل ملاكا يُسعِد أيامه، فاعتذرت له وطلبت منه أن يتذكرها دائما، وأن يدعو لها بالسعادة، فأجابها بأنه سيتذكرها دائما، وسيدعو عليها بأن يجعل الله أيامها كلها سواد؛ فغضبت وسألته ماذا فعلت حتى تدعو عليّ أن تكون أيامي كلها سواد! فأخبرها: بأنكِ حينما علمتي أنني متزوج رفضتي الاستمرار

معـي وأردتي أن تمنعـي حروفـك عنـي، وأنـتِ تعلمـين مـدى تعلقـي وحبـي لهـا.

فأخبرته بأنها متزوجة أيضا، فسألها: لماذا لم تخبريني من البداية؟

فأجابتـه: كنـت لا أحـب أن أتحـدث معـك عـن أمـور حيـاتي الخاصـة، وعلينـا أن نقلـل مـن تواصلنـا وحديثـك لي وكتابـاتي لـك.

ثُمَّ قال لها: إذن أنتِ جنات.

ثُمَّ اختفت لمدة طالت، فظل ينشدها:

لو كانت تمنعنا

محيطات لعبرتها

لو كانت تفصلنا

مسافات لقطعتها

لو كانت تعترضنا

سدود لاجتزتها

لكنه دين وشرع

قد حال بيني وبينها

كم ضحكنا وكم حكينا

وكم ديار من سراب قد بنينا

لم نكن ندري أننا

قبل البَدء انتهينا

ساءت حالته بعد ابتعادها عنه، وظل يتحدث عنها أمام النهر وينشد:

وحنين في القلب

وشوق قد طال

أعلم أن الوصولَ إليك

دربٌ مِن الخيال

وأعلم أني مهما أبحرت

فلن أصل فهذا محال

لكن القلب يهفو

لملكة تهوى الترحال

والصمت سلاح نافذ

في الأوصال

وأحاديث للروح بها

قد تغير الحال

أيا روح ملكت القلب

هل من وصال.

فأجابته بأنها لا تستحق كلامه هذا، فأجابها بأنها تستحق الكثير، فأخبرته بأنها لا زالت متزوجة وإن كانت تمر بظروف صعبة وآلام وقعت عليها من زوجها، إلا أنها لا تنوي الانفصال عنه، وترغب في العودة إليه، فأجابها بأنه يتمنى لها السعادة أينما كانت، المهم أن تكون دائما سعيدة

وتخرج من حالة الحزن التي تمر بها، فتشكره، وأخبرته بأنه لا يجب أن تستمر في الكتابة إليه، واختفت كتاباتها من أمامه فازدادت آلامه وأنشد.

يا شجرة تساقطت أوراقها
أتراك غدا تزهرين
وتعود إليك البلابل
أم عز الحنين
كم سمعنا الحب لحنا
على جزعك الحزين
فمتى تعود الضحكات
ونقهر الأنين
يا شجرة العمر هل تُورِقين.

يجلس على حافة النهر لوقت متأخر بالليل، فتظهر له صورتها على صفحة النهر،

فيقول لها: أرق على أرق، لماذا أنتِ مستيقظة حتى الآن؟

فتخبره بأن هناك أمور تشغل تفكيرها ومواضيع جديدة، فينصحها بألا تفكر في أي مشكلة من شأنها أن تعكر لها حالتها النفسية، فتخبره بأنها لا تستطيع النوم وتأخذ بعض المهدئات والأقراص لتنام، فينصحها ألا تعتاد عليها مخافة منه على صحتها، وينصحها بألا تفكر كثيرا وأن تحاول حل مشكلتها مع زوجها، فتغضب منه ولا ترغب في الحديث معه عنه، ثُمّ تختفي حروفها من على صفحة النهر، ويظل ينشد:

أيا قمر لا يغيب من أفلاك
يا عمر ضاع قبل لقياك
يا من روت حروفك
روحي فاشتاقت لرؤياك
يا كلمات فوق بحار
الماضي وعبق ذكراك
ما كنت أئن من نصح
إلا لقلب يهوى هواك.

ثُمَّ تعود لتخبره بأنها ستذهب إلى مقهى ثقافي كبير ومشهور، فيخبرها بأنه يرغب في أن يقابلها ويراها على طبيعتها هناك، فتؤكد له أنه ذلك سيحدث قريبا، فيزداد حبه للمكان الذي تنوي مقابلته فيه وينشد:

ولك في القلب مكان
ومن تسكنك لي عنوان
على نهرك نظرة حبيبة
تَغنّى بها الزمان
يا أجمل صباح
وأعذب ألحان
نيلك في القلب
أغلى شريان.

ثُـمَّ تعـود مـن جديـد لتخـبره بـأن هـذه سـتكون آخـر مـرة تتواصـل معـه، وأنهـا سـتختفي بـلا عـودة، ثُـمَّ تختفي.

بعـد عـدة أيـام مـن انقطاعهـا عنـه تعـود إليـه مـن جديـد لتسـأله عـن أحوالـه، وتخـبره أيضـا أنهـا ظنـت أنـه سـيذهب إلى المقهـى الثقـافي الـذي اعتـادت أن تذهـب إليـه في يـوم معـين مـن أيـام الأسـبوع، كانـت قـد أخبرتـه بـه قبـل أن تنقطـع عنـه،

فأجابهـا بأنـه قـد ظـن أنهـا لـن تذهـب إلى هنـاك، ثُـمّ ذرف منـه الدمـع، فلـما رأتهـا دعـت عـلى نفسـها، ولامـت نفسـها عـلى أنهـا كانـت سـببا في الحالـة التـي وصـل إليهـا، وأخبرهـا أنـه أحبهـا منـذ أول حديـث بينهـما، فأجابتـه بأنهـا هـي أيضـا كذلـك، فطلـب منهـا أن يقابلهـا في المقهـى الثقـافي الأسـبوع القـادم، فوافقـت. ثُـمّ ذهـب إلى هنـاك وانتظرهـا لتـأتي، ولكنهـا لَم تحـضر فغضـب منهـا، فـردت عليـه:

لمـاذا تعاملنـي هكـذا؟ وكأننـا اثنـين مخطوبـين! أنـا قلـت سـأحاول الحضـور، وكان يجـب عليـك أن تؤكـد عـليّ.

فـرد عليهـا: ألا تعلمـين لمـاذا أعاملـك هكـذا! هـل نسـيتِ بهـذه السرعـة تصرفاتـك معـي؟

فـردت عليـه: أي تصرفـات! أنـا أعاملـك كأخ وصديـق؛ لهـذا كنـت سـأحضر لمقابلتـك وأنـا لا أخشـى شيء، أمـا أن يأخـذ اللقـاء اتجاهـا آخـر؛ فأنـا لا أقبلـه.

فـيرد عليهـا: هـل نسـيتِ كلامـك؟ فـترد عليـه: أنـا لَم أعـدك بـشيء، وحتـى إن كانـت هنـاك ميـول؛ فأنـا مـن حقـي أن أحـب كأي امـرأة، وهـو مـا حكيـت

لـك عنـه، وإن كانـت هنـاك لحظـات ضعـف؛ فمـن الواجـب أن نقوّمهـا، وأن تسـاعدني عـلى ذلـك. فـيرد عليهـا: لا بـل قـولي أنـك قـد عـدتِ إلى زوجـكِ. فتجيبـه: لَمَ أعـد إليـه، ولا أرغـب في العـودة إليـه، هـو لا يطيقنـي، ولَمَ يعـد يهتـم بي أو حتـى يكلمنـي، وهنـاك ضغـوط عـليّ مـن أجـل أولادي، وضغـوط مـن أهـلي، كـما أننـي تربيـت عـلى أن الـزوج وإن أحرقنـي بميثـاق غليـظ وجـب عـلي أن أتحمـل العيـش معـه.

فيسألها: هل هي اختلافات مادية؟

فتجيبـه بـأن الماديـات متوفـرة، لكـن هنـاك أمـور أُخـرى مـن اهتـمام وأحاسـيس واحـترام، أمـا الماديـات فهـي آخـر شيء تنظـر إليـه، ثُـمّ تطلـب منـه ألا يغضـب مـن عـدم مجيئهـا إليـه، فيجيبهـا بأنـه ليـس غاضبـا، ويخبرهـا بأنهـا تعلـم أنـه يحبهـا، ويرغـب في الـزواج منهـا في حـال انفصالهـا، كان يظنهـا جنـات، فتجيبـه بأنهـا حتـى لـو انفصلـت عـن زوجهـا فلـن تتـزوج مـرة أُخـرى، فينـصرف مـن المقهـى، ثُـمّ تحادثـه مـن جديـد، وتطلـب منـه ألا يغضـب منهـا، فيجيبهـا بأنـه يرغـب في مقابلتهـا ليراهـا، وليعلـم مـع مـن يتحـدث ومـن تكـون تلـك التـي شـغلت تفكـيره، ومـن هـي تلـك التـي تحمـل هـذه الـروح، فتجيبـه بـأن يـترك لهـا القـرار في أن تحـدد هـي الوقـت المناسـب، وسـتخبره بـه، لكنهـا فقـط ستسـلم عليـه ولـن تجلـس معـه.

تمـر أيـام وإذ بهـا تخـبره بأنهـا اعتـادت عليـه، كلـما تصحـو مـن نومهـا تبحـث عـن كلماتـه، فطلبـت منـه أن يجـد حـلا جذريـا، فهـي لا تريـد أن ينكـسر قلبهـا لأن قلبهـا مـا عـاد يتحمـل الانكسـارات، فأجابهـا مـاذا لـو شـعرت بـأن ضرسـك يؤلـك؟ ولم يجـدي فيـه العـلاج؟ هـل سـتذهبين إلى الطبيـب لخلعـه؟

فأجابتـه بنعـم.

فأخبرها: إذن عليكِ الذهاب لمحكمة الأسرة لخلعه.

فضحكـت وأخبرتـه أنهـا فكـرة مجنونـة، إنـما الحـل الـذي تريـده هـي أن تُقِـل مـن الحديـث معـه شـيئا فشـيئا إلى أن ينتهـي كُلّ حـوار بينهـما.

فأجابها: لا أستطيع ذلك، ولا يمكنني أن أنساكِ.

فأخبرتـه أيضـا بأنـه لا يُنسـى. فسـألها: لمـاذا لَمَ أقابلـكِ منـذ سـنوات! لمـاذا قابلتـكِ بعـد فـوات الأوان! لمـاذا قابلتـكِ الآن؟ فأجابتـه: هـي أقدارنـا.

فأخبرهـا بأنـه يشـعر أنـه قـد فتـن بينهـا وزوجهـا، فأجابتـه أن تلـك المشـاكل قائمـة قبـل أن تلقـاه، وأنـه لم يفتنهـا في شيء، وأنهـا تحافـظ عـلى نفسـها، وشـكرته، وطلبـت منـه أن يدعـو لهـا الله أن يثبتهـا، ثُـمّ تركتـه وهـو يشـعر بحـزن شـديد وينشـد:

نفسي الأبية وإن زلت

فلها ربّ رحيم

ما بالنا نشتاق

لضروب للجحيم

ألا يا نفس انهضي

ولا تستسلمي لشيطان رجيم

أين الطهر أين النقاء

لا لرفقة للحميم

يا من عزّ علينا فراقكم

تأبى النفس لقاء أليم.

ثُـمَّ يتذكرهـا وهـي تطلـب منـه أن يُقِـلّا مـن حديثهـما شـيئا فشـيئا إلى أن ينتهـي كُلّ حـوار بينهـم؛ فتـزداد آلامـه وينشـد:

أتظنين أن القلب
سينساك بعد أيام
أتظنين أن العقل
يعيش في أوهام
أتظنين أن لقاءنا
نسج أحلام
لا الروح تنسى حبيبها
وإن مرت أعوام
ولا العين تعشق غيركِ
وإن رأت أجمل أنام
ولا القلب يهوى غيركِ
ودونك الحياة آلام
فلا تبحثي عن مداواة
تبث فينا أسقام
ولا تظني أن الجسد
سيسلى روحا بعد أيام
وأنت النقاء وأنت الحياة
ودونك ضباب وريح
وموتى ونيام.

تعود إليه من جديد، فيسألها عن طبيعة عمل زوجها، فتخبره عنه القليل، كما تخبره أيضا بالقليل عن أسرتها، فتتضح له صورةٌ أجمل مما كان يتخيلها! فينصحها بأنه يريد لها الخير، ويرى أن تستمر في علاقتها مع زوجها، فتغضب منه لأنه ظن أنها لا تدري أين تكون مصلحتها، فأخبرها أنه يرى أن زوجها ناجح في عمله، فسألته: ما هو النجاح من وجهة نظرك؟ هل هي الأموال الكثيرة أم السيارة أم أمور الرفاهيات الأخرى؟

إنها لا تنظر إلى تلك الأمور، فيجيبها بأن مشاكلها عادية، قد تحدث في أي بيت، وسهل حلها، فتجيبه بأنها ليست مشاكل عادية، إنما مشاكل متراكمة منذ سنوات عديدة، وقد جعلتها تُقدِم على الانتحار أكثر من مرة، وما كان يمنعها هو أولادها وحنانها عليهم.

فسألها: وما الذي يجعلك تقبلين بهذا الوضع؟

فتجيبه أولادها والمجتمع ووالدها، كلهم يسببون لها الكثير من الضغوط لتقبل من وضع من وجهة نظرهم أنه ناجح.

فيجيبها: بالفعل ناجح.

فترد عليه: إذن أنا من لا تدري أين منفعتها، إنك لا تعلم شيئا، هناك أمور كثيرة سببت لي التعاسة لدرجة تجعلني أقدم على الانتحار.

فيرد عليها: إذن قد يكون الانفصال حلا.

فتجيبه بأن أهلها يرفضون ذلك، ولا تستطيع أن تأخذ هذا القرار بمفردها، وهو ما يجعلها في حيرة وآلام وحزن دائمين.

فـيرد عليهـا: إنـك تحبينـه كثـيرا، بـل تذوبـين عشـقا في زوجـك، وإن كان لا يكلمـكِ الآن، فحينـما يعـود إليـكِ كُلّ مشـاكلك سـتزول، وسـتقبلين عليـه ولـن تسـتطيعي الابتعـاد عنـه.

فتجيبه وهي تضحك: أنت أدرى.

تحكـي لـه الكثـير عـن أمـور حياتهـا، و كيـف تقـضي يومهـا، ويحكـي لهـا كُلّ شيء عـن أمـور حياتـه، وتؤكـد لـه أنـه بمثابـة أخ وصديـق، لكنـه يرفـض ذلـك ويخبرهـا أنهـا إن اختـارت الانفصـال حـلا لمشـاكلها؛ فلـن يتركهـا، بـل سـيتزوجها، ظنـا منـه أنهـا جنـات، لكنهـا تخـبره بأنهـا حتـى لـو انفصلـت فلـن تتـزوج مـرة أخـرى، وتنصحـه بأنهـا ليسـت مـلاكا كـما يتصورهـا، بـل هـي عاديـة جـدا وأحوالهـا وطباعهـا تتغـير كُلّ لحظـات، ربـما إن تعامـل معهـا كثـيرا فسـيظنها أنهـا وصلـت إلى مرحلـة الجنـون وأنهـا ليسـت بالثقافـة التـي يتخيلهـا والتـي أُعجـب بهـا.

فيسألها: «لماذا تحاولين تشويه صورتك الجميلة لدي؟».

فتجيبـه: «إننـي لسـت مـلاكا، وسـأترك الحديـث معـك الآن، فالسـاعة قاربـت عـلى الثالثـة فجـرا، ولـدي أعـمال كثـيرة في المنـزل كتنظيـف حجـرتي وتعطيرهـا، فالليـل ملكـي أتطيـب فيـه وأعشـق لونـه الأسـود.».

في تلـك الحالـة يفهـم أنهـا تمـر بحالـة اكتئـاب، وربـما يكـون قـد نصحهـا الطبيـب بذلـك، لكنهـا تعـاود حديثهـا إليـه أنهـا اعتـادت القيـام بذلـك منـذ صغرهـا.

في اليـوم التـالي يظـل جالسـا عـلى حافـة النهـر منتظـرا حروفهـا، ولا تجيبـه، ثُـمّ

تنـزل دمـوع عينيـه لمـا بـدأت حروفهـا تظهـر أمامـه، فلـما رأتهـا سـمع كلامهـا لأول مـرة واعتـذرت لـه كثـيرا لمـا شـعرت بالأسـى والحـزن لمـا وصلـت إليـه حالتـه، وأخبرتـه ألا يحـاول أن يلفـت الانتبـاه إليهـا مـن خـلال علاقتهـا معـه، وأن العلاقـة ليسـت فقـط مجـرد حـروف، فأخبرهـا أنهـا بالنسـبة إليـه كـروح، ويكفيـه أن تكـون سـعيدة ويكفيـه سـؤالها واهتمامهـا بـه، وأنـه لا يسـتطيع أن يخبـئ حبهـا عـن العيـون؛ فبكـت.

تمـر أيـام وليـالٍ، وبينـما هـو سـاهر طـوال الليـل إذ بـه يـرى حروفهـا أمامـه، فتسـأله عـن سـبب سـهره، فيخبرهـا أنـه يفكـر في شيء مـا. فتسـأله: « هـل تفكـر في شيء مـا؟ ملهمتـك مثـلا؟

فيجيبها: بأكثر من ذلك.

فتضحك وترد عليه: « لقد عدت إلى ضلالك القديم.».

ثُـمَّ يستشـيرها ببعـض الأمـور الخاصـة بعملـه، وتعطـي لـه ردودا غايـة في العقلانيـة والرقـي، فيـزداد إعجابـه بهـا، ثُـمّ تتركـه لفـترة فتـزداد غيرتـه عليهـا مـن أن تكـون قـد انشـغلت بآخـر، فلـما تواصلـت معـه مـرة أُخـرى سـألها: هـل عـدت لزوجـك؟

فتخـبره بـلا، وبـأن الأمـور بينهـما أصبحـت أسـوء مـن ذي قبـل، فيسـألها بأنـه يلاحـظ أنهـا تنشـغل بعيـدا عنـه، وكان يظـن أن هـذا الانشـغال مـع زوجهـا، فتجيبـه بـلا، لقـد أهملنـي وتركنـي كالمُعلَّقـة. فيسـألها: إذن مـع مـن تنشـغلين عنـي؟

فتجيبه بأنها شكوك لديه.

فيخبرها: بل هي غيره.

فتجيبه أنها لا ترى سببا أو مبررا لتلك الغيرة.

فيجيبها: حتى هذه اللحظة لَم تجدي سببا لتلك الغيرة!

فتجيبه بأنه أخ وصديق.

فيرد عليها: وأنتِ بالنسبة لي الحبيبة، وإن أردتِ ألا نتحدث مرة أُخرى؛ فلن نتحدث، لكنك ستظلين حبيبة الروح.

فتجيبه: كما طلبت.

ثُمّ تختفي.

بعد أن تختفي، تسوء حالته ويشعر بحزن وألم شديد في صدره وتغرورق عيناه ولا يقوى على الكلام، ثُمّ يجلس مع نفسه أمام النهر يشكو حاله فتسمعه، ثُمّ تجيبه، فيخبرها بأن هناك مشكلة ويرجوها أن تجد لها حلا كما حاول هو أن يجد حلا لمشكلتها، هو: كنت خالي البال ولكنها غيرت أحوالي وكانت لديها مشكلة

حاولت أن أخرجها من حالة الحزن التي تمر بها فاعتبرتني أنا المشكلة ذاتها.

هي: لا أستطيع الحكم لأني لَم أسمع ملابسات وظروف الطرف الآخر.

هو: تعلمين جيدا من هو الطرف الآخر.

هي: هناك ظروف معينة ي يحكمها أشياء كثيرة.

هو: الجمال جمال الروح.

هي: لا يوجد علاقة بين الظروف والجمال.

هو: ظروف تأخرت لم تأتِ في موعدها.

هي: الطرف الآخر لَم يقدم وعودا لأنه يعلم حدوده وظروفه، وأعتقد أنها شخصية جديرة بالاحترام؛ لو لم تكن كذلك لاستمرت.

هو: ربما يجد الطرف الآخر حلا، لَم أقصد في الاستمرارية، لكن في حالة عدم الاستمرارية

هي: أفصِح.

هو: أقصد ربما اختلف الأمر إن وجدت حلا.

ما زال يظنها جنات.

لكني الآن لا يمكنني النصح به غير أن يهديهم الله ويصلح بالهم، ويحضرني الآن بأنك تتعلق بروح كالسراب.

هي: وضحت جدا، بالرغم من تناولي لحبوب منومة إلا أنني لا أستطيع النوم.

هو: لماذا؟

هي: أشعر بأرق

هو: بالله عليكِ لا تكثري من تناول تلك الحبوب.

هي: إن شاء الله، حاضر.

هو: أنا ألاحظ أن نومك متقطع.

هي: لهذا اشتريت هذه الحبوب.

هو: لا تكثري منها أكثر من واحدة، من الممكن أن يتوقف قلبك.

هي: شكرا لاهتمامك.

هو: تأكدي أنه لا توجد أزمة تكسركِ، وكُلّ محنة هي منحة.

هي: حاضر، سأسمع كلامك.

هو: أنا اليوم عادت لى روحي ثانية حينما تواصلتِ معي من جديد، علمت أن قلبك كبير.

هي: ليس لي قلب.

هو: ألا تعلمين أنك حينما تكونين سعيدة أنا أشعر بالسعادة، وحينما تكونين حزينة أشعر بالحزن أيضا، لأنك مثقفة وراقية، ومن الخسارة أن يتملكك الحزن.

هي: أشكرك جزيلا، إنني لا أستحق كُلّ هذا.

هو: أسعد الله قلبك مثلما أسعدتني كلماتك.

هي: ولك المثل، جميل أن يكون كُلّ إنسان عند حسن ظن الآخر.

هو: أنت قوية، ولا بد أن تنتصري على أحزانك.

هي: بإذن الله.

ثُمَّ تنهي كلامها لتنام.

في الصباح.

هو: طاب صباحكِ.

هي: طاب صباحكَ! كلامك الجميل لا يجوز لي.

هو: أنا لا أقصد جسدكِ، بل أقصد روحكِ ومشاعركِ.

هي: لا فصل بينهما.

هو: ولكني أخص بكلامي روحك.

هي: لا يجوز.

هو: ألم تكوني تعانين من مشكلات، وعلى أثرها كنتِ تنوين الانفصال؟ هل عدتِ إلى زوجك؟

هي: قريبا سأعود.

هو: هل تقولين ذلك لأبتعد عنكِ؟ أم أنك جادة في كلامك؟ إن كنتِ جادة أقسمي لي بالله؛ وسأبتعد فورا.

هي: أقسم لك بالله

هو: ما دمتِ ستكونين سعيدة؛ فحتما سأكون سعيد.

هي: وفقك الله أنت محترم وراقي.

ثُمَّ ينقطع كُلّ تواصل بينهما، إلى أن ترى ملامحه وصورته قد تغيرت للأحسن فتعود من جديد لتتحدث معه.

في الصباح تخبره بأنها اعتادت على كلماته وتخبره بأنها أرادت فقط الاطمئنان والسؤال عليه، ثُمّ استأذنت، فلما رأت العديد من صوره عادت إليه مرة ثانية؛ سألته: أيهم أنت؟

فسألها: لماذا هذا السؤال؟ فأخبرته بأنه مجرد سؤال، ثُمّ أخبرها أنه هو جميعهم، لكن الفرق هو عمر كُلّ صورة، ثُمّ انتهى الحوار بينهما على ضحكات، شعر من خلالها باهتمامها كما كان منذ اللحظات الأولى، وكان قد تحدث معها أنه يرغب في مقابلتها في المقهى الثقافي، فأخبرته أنها ربما

تذهب في يوم معين من أيام الأسبوع، وستسلم عليه ولن تجلس معه، ثُمّ ذهب في ذلك اليوم وانتظرها فرأى حروفها على صفحة النهر.

هي: طاب صباحكَ.

هو: طاب صباحكِ.

هي: استيقظت من النوم أبحث عن كلماتك.

هو: ذهبت إلى المقهى الثقافي أنتظرك.

هي: هل أنت جاد فيما تقول؟

هو: أجل.

هي: ومن معك؟

هو: لا أحد.

هي: لن أذهب.

هو: لماذا تلك المعاملة؟

هي: أنا قلت حينما أقرر الذهاب إلى هناك سأبلغك.

هو: لقد أخبرتكِ أنني ذاهب إلى هناك، ورأيتكِ تضحكين وأنتِ تستمعين إلى (كأنك تطارد خيط دخان)؛ إذن أنتِ قصدتي عدم الحضور، وكلّ كلامك كان لقضاء أوقات فراغك وللتسلية.

هي: لم أرَ أي شيء مما تقوله، ولا أعلم أنك ذاهب إلى هناك، وآخر شيء رأيته هو الوردة التي أرسلتها إليك.

هو: لقد بدأت أرى لك وجه آخر.

هي: لماذا إذن؟

هو: بالأمس رأيتك تسخرين من أغنية (كأنك تطارد خيط دخان).

هي: أقسم بالله لم أقصد ذلك.

هو: إذن ما تفعلينه هو استهزاء.

هي: لا طبعا، لماذا تقول عني ذلك؟

هو: أنا لن أفرض نفسي عليكِ.

هي: أقسم بالله أنا كما أنا، أنا أقسمت.

هو: لا، أنا لست في اهتماماتك.

هي: ليس كذلك، لكني لَم أتوقع أنك ستذهب إلى هناك، وتحكمني ظروف.

هو: آنتِ تقضين وقتك في التسلية.

هي: أحزنتني كلمة تسلية، أقسم بالله أنني لم أعلم أنك ستذهب إلى هناك.

هو: أحضرت لك هدية تحبينها.

هي: يا روحي.

هو: لا، أنتِ رجعتي في كلامك، وغيرتي من رأيكِ.

هي: أنا كلامي كما هو، وأنا أقسمت لك، وأنت تجرحني، ولو المقابلة ستأخذ اتجاها آخر وجو حب لن أقابلك.

هو: يبدو لي أنك تعانين من حالة زهايمر، يسقط منك الكلام، ولا تدري به، ثُمّ تعودين وتقولين بأنك لا تقصديه، حينما اعترفت لك في البداية بأنني أحببتك.. ألم تقولي بأنك أنتِ أيضا، ثُمّ عاودتي الحديث على أننا

إخـوة وأصدقـاء، والآن ألم تقـولي بأننـي روحـك؟

هـي: هـذه كلمـة عاديـة أسـتخدمها، وحتـى إن كان يوجـد شيء بداخـلي لا يصـح لي أن أقولـه أو أن أعـدك بـه، ومـن المفـروض أن أكـبر في نظـرك، لقـد أحزنتنـي وأبكيتنـي، وأخطـأت بأننـي حكيـت لـك كُلّ مـا شـعرت بـه بصراحـة، أنـا آسـفة، وفعـلا لا يمكننـي أن أتحـدث معـك ثانيـة لسـبب بسـيط؛ أشـعر بأننـي قـد آذيتـك، ويعلـم الله كيـف أحترمـك وأقـدرك، ويعلـم الله أننـي لا أكـذب ولا أتسـلى، وأننـي أمـوت الآن عـلى أن أحـضر إليـك لتفهـم الوضـع والظـروف، لكننـي لـن أسـتطيع القـدوم إليـك، ويعلـم الله أننـي أتحـدث إليـك بنيـة صافيـة، أنـا لم أرَ ولـن أرى أحـد مثلـك، وأنـت شـخص محـترم وراقٍ، وكنـت أتمنـى أن تكـون أخ وسـند لي، ومـن المفـروض أن أكـبر في نظـرك أننـي لم أتـرك لنفـسي فرصـة للخطـأ، وليـس عيبـا أن ينقـذ الإنسـان نفسـه ويقوِّمهـا ويراجعهـا.

هو: ومن قال لك أني أريد الخطأ، الحل بيدكِ.

هـي: ضغـوط كثـيرة عـليّ مـن أجـل أولادي وأهـلي، أبكـي عـلى حـالي ولا أرغـب في الحـب والـزواج ثانيـة، أقسـم بـالله كان في نفـسي التعـرف عليـك.

هو: هذا حب واهتمام، وأنتِ لا تدرين.

هي: ليس حب، بل هناك إخوة وصداقات أقوى من الحب.

هو: مصيبتك أنك لا تعلمين ماذا تفعلين بتصرفاتك تلك مع غيرك؟

هي: أنا لم أفعل أي شيء، ولم أقصد أي شيء.

هو: بارك الله لكِ فيه، وهنأكم ببعض.

هـي: تدعـي أن يبـارك لي فيـه! كفـى. تأكـد لـو رجعـت لـه أول إنسـان أخـبره هـو أنـت.

هو: نداوي الناس وتجرحنا.

هي: ومن قال أنك داويتني!

فيخرج من المقهى ويغلق الحوار معها وينشد:

أداويك وتذبحني
وبالنكران تقذفني
وأنزف أمام عينيك
وبالبهتان تجرحني
ورودك في قلبي
شوك يؤلمني
وعطرك دخان
في صدري يعتصرني
وعيونك سيوف
على جسدي تمزقني
ووجهك طعنات
وذئاب تقتلني
ونورك ظلام وليل
طويل يؤرقني
يا مَن قدت حروبا
دفاعا عنك أتحاربني.

بعد خروجه غاضبا من المقهى الثقافي طلبت منه أن يسامحها.

هي: أستاذ.

هو: نعم.

هي: هل أنت بخير؟

هو: سيصيبني الجنون على يديك.

هي: نمت وكنت حزينة جدا، واستيقظت من نومي لأجد عيوني لا أرى منها، وبها دمل، يبدو أنك قد دعوت عليّ.

هو: لم أدعُ عليكِ.

هي: لا دعوت عليّ.

هو: أنت تقولين ذلك لأنك تخافين من أن أدعو عليكِ.

هي: لا، أنا أردت أن أقول لك أن دعوتك قد وصلت.

هو: والبقية تأتي.

هي: وإذا أردت أن تكمل فأكمل.

هو: إلى أن تصلي إلى سن السبعين.

هي: تظن أنني أُؤَلِّفُ لك كلاما؟؛ إذن سأرحل الآن.

تختفي، ثُمّ تعود في المساء.

هي: مساء الخير.

هو: مساء النور، كيف حال عينيك؟

هي: الحمد لله.

هو: أشعر بأنك كنت تقصدين عدم الحضور.

هي: أقسم بالله لم أقصد.

هو: أصدقكِ وأسامحكِ.

هي: اخيرا، لكنني لن أسامحك. وتضحك: الحمد لله عدنا إخوة.

هو: سأراكِ قريبا.

هي: حينما أتأكد أننا صرنا إخوة بالفعل.

هـو: لا تقلقـي، مـا دمـت لاتريدينني فإننـي لـن أفـرض نفـسي عليـكِ، بـل إن زوجتـي تتمنـى أن أهتـم بهـا ربـع اهتمامـى بـكِ.

هي: أوباااا..

فيشعر من كلامها أنها صدمت أو أصابتها الغيرة.

هو: ماذا تقصدين بـ أوباا..؟

هي: يعني جميل، واو.. هنأكم الله ببعض

هو: إذن سأراكِ قريبا.

هي: بإذن الله سأرتب الظروف وأخبرك.

هو: وإن أردتِ محامي خلع، موجود.

فتضحك.

هو: والعريس موجود.

فتضحك.

هي: أستأذنك.

هو: في انتظارك.

هي: بالليل.

تختفي ثُمّ تعود بالليل.

هي: مساء الخير.

هو: مساء النور.

هو: كتبت لك بعض الأشعار.

هي: أستاذ كلماتك جميلة لا تجوز لي.

هو: يا روحي.

فتضحك ثُمّ تقول له: لا تقل لي يا روحي.

هو: عادي، ألم تقوليها لي من قبل؟ ثُمَّ قلتي ثانية بأنها كلمة عادية.

هي: أنت ما زلت على ضلالك القديم، سأذهب إلى النوم.

هو: هل أنتِ غاضبة من شيء؟

هي: لست غاضبة.

هو: متى ستحدثينني؟

هي: غدا ليلا، لمدة خمس دقائق.

هو: خمس دقائق فقط!

هي: وزيادة عليهم خمس دقائق.

هو: ألم أقل لكَ أنكِ تغيرتي؟

هي: لدي التزامات كثيرة.

هو: أي التزامات تلك؟

هي: أريد أن أخبرك بشيء؛ إنني لست طوال الوقت تلك المرأة العاقلة المثقفة، بعض الأوقات تجدني طفلة، وأوقات مجنونة، أنا أريدك أن تفهم طبيعتي.

هو: دون أن تقولي، أفهمها جيدا.

ثُمَّ تختفي.

ربما كان يشعر بأنه يتحدث مع ملكة من عالم آخر، أنها فتاة أحلامه جنات، حتى أنه وجدها لا تشعر بجمالها؛ فأخذ يعدد لها ما لمسه فيها من صفات جميلة؛ مِن أدب وعلم وثقافة وأسلوب راقٍ وفكر وإحساس وطيبة، كُلّ ذلك من خلال حديثها معه، وما كان يراه من جوهرها.

تمر أيام وتحكى له الكثير من أمور حياتها اليومية، وردوده عليها لم يكن فيها اندفاع، بل كانت عادية جدا، ففكره كان لا يأخذه إلى نواحٍ سيئة، خاصة وأنه يعلم مدى رقيّ تفكيرها؛ لهذا كان يقابل الفكر بفكر مثله، في إحدى المرات قصت عليه أنها تريد أن تكون في حالة استرخاء، وطلبت منه ألا يفهمها خطأ، فأخبرها أنه من المستحيل أن يفهمها خطأ، لأنه يضعها في منزلة راقية جدا، فتحدثت معه بحرية على أنها اشترت بعض الحلوى وأشعلت الشموع، وتستمع إلى إحدى الأغنيات العاطفية، فطلب منها أن تفعل ذلك يوميا وألا تفكر في شيء من شأنه أن يجذب إليها الحزن، وفهم أنها تمر بحالة اكتئاب، خاصة بعدما علم منها أنها كانت تفكر في الانتحار، فكان بمثابة الداعم لها طيلة الوقت، ولا يتركها لكيلا يتملكها الحزن، بل دائما ما يرفع من روحها المعنوية ولا يتركها إلا إذا أخبرته بأنها شعرت بالسعادة ولا يوجد ما يُحزنها.

هو: مساء الخير.

هي: مساء النور.

هو: كيف حال عينيك؟

هي: ذهبت إلى الطبيب وأعطاني بعض الأدوية.

هو: خيرا باذن الله، لا تقلقي.

هي: أستأذنك لعمل فنجان من القهوة.

يطيل الانتظار ثُمّ تعود.

هو: ظننتك ذهبت إلى البرازيل؛ تضحك.

هي: لا ذهبت إلى مكان آخر، واشتريت حلوى وأشعلت الشموع، وأستمع إلى أغنية عاطفية، لكن أرجوك لا تسيء فهمي.

فهم من خلال كلامها أنها تريد الخروج من حالة الحزن والاكتئاب، ثُمّ أجابها: أخبرتك أكثر من مرة أنني لا يمكن أن أُسيء فهمك.

و في الصباح يجدها قد تغيرت، ويحاول الحديث معها، فيشعر أنها لم تعد تهتم به كثيرا؛ فيسألها عن سبب تغيرها، فتجيبه بأنها تمر بضغوط كثيرة، ثُمّ تختفي؛ فينشد:

أبحر في عينيك

بفكري ووجداني

وقلبي يجدف

في بحار من الألحانِ

على وجنتيك

ورود وعطر زماني

يا وجه قمر

حبك أضناني

يـزداد حبـه لهـا وتعلقـه بروحهـا، وينشـغل بهـا فكـره ويخشـى مـن رحيلهـا عنـه، فـكل مـا كان يشـغله هـو تلـك الـروح التـي تعلقـت روحـه بهـا، وينشـد:

إن رحلتي سترحل

روحي وعقلي ويقيني

فلا ترحلي عن دنياي

وللحياة دعيني

يا من بحروفك

وكلماتك سحرتيني

يا من بروحك

وقلبك أسرتيني

يا من بعيونك

ووجنتيكِ جرحتيني

فما في البعد عنكِ

طب ولا دواء يشفيني

أنا المجروح وبنظرة

منك تداويني

أنا العطشان وبكلمة

منكِ ترويني

هي: مساء الخير.

هو في حالة شرود وانشغال.

هي: يبدو أنك مشغول.

لم يُجِبها.

هي: أنتَ تقصد عدم الرد؟ هل أنت بخير؟ أم حدث لك مكروه؟

هو يشعر باهتمامها أو ربما هناك أمر تريد الحديث معه فيه، ثُمّ يجيبها فتشكو إليه من سوء معاملة زوجها لها وقلة اهتمامه بها.

هو: ألم أتركِ بالأمس وأنتِ في حالة جيدة؟ وتركت الحزن وبدأت تشعرين بالسعادة والتفائل، ما الذي حدث معك؟

هي: تحدث معي بأسلوب أغضبني وجعلني أشعر بالضيق والحزن.

هو: لست وحدك من تشعرين بالحزن، أنا أيضا بدأت أشعر بالضيق والحزن.

هي: لماذا؟

هو: ألا تعلمين لماذا؟

هي: أشعر بأنني أسبب لك التعاسة في حياتك؛ لهذا سأنسحب.

ثُمَّ تختفي، فيشعر بحزن شديد وينشد:

أيا كلمات طال السهر

أيا لياليَ هجرها القمر

أيا سحاب قد جف المطر

أيا أحاديث أين السمر

يا ورد رحل من وجنتيك
يا نهر جف في مقلتيك
يا حلم تبخر على شاطئيك
على مرآة زماني أراك
ملكة والقلب يهواك
يا من يغني بها القلب
فكيف للروح أن تنساك.

ثُـمَّ يجلـس عـلى النهـر وينـادي عليهـا عـلّ حروفهـا تظهـر أمامـه ثانيـة، لكنـه يبـدو أنهـا في تلـك الفـترة قـررت عـدم الظهـور لـه، فـإذا بـه يقـول: تبحـث عنهـا وهـي معـك.

فلما سمعته يقول تلك الكلمات ظهرت له.

هي: ومن تكون هي التي تبحث عنها وهي معك؟

في تلك الأثناء شعر بغيرتها.

هو: أجبتي علي لما سمعت تلك الكلمات!

فضحكت ثُمّ اختفت.

فلـما رأتـه كثـير الغـيرة عليهـا، وحينـما تغيـب عنـه يصبـح في حالـة حـزن شـديدة، شـعرت بأنهـا هـي السـبب في الحالـة التـي وصـل إليهـا، فأخبرتـه بأنهـا تذهـب إلى طبيـب لتعالَـج مـن الأزمـة التـي تمـر بهـا، وأنهـا في حـال شـعرت أنها سـبب في تعاسـته فلـن تسـتمر معـه، ليـس لأن أحدهـم لا يطيـق الآخـر أو سيء،

ولكنهـا لا تـرضى أن تسـبب لـه ضغـوط عليـه، واختفـت لمـدة طالـت عليـه، فأنشـد:

يا واصد الأبواب
لقلب أنت تملكه
علام الخصام
وعشقي لك أنت تدركه
ماذا جنى عاشق
لروحك كي تهلكه
أم كثر عشاقك ونسيت
قلبا كنت تذكره
ما كنت أظن جفاك
لجسد أنت روحه
يا ورد القلب ما كنت
أظنك يوما ستجرحه
ومن دماه نبت
فكانت فرحته
أفي سيل من
من الدموع تتركه
ماذا جنى عاشق
لروحك كى تعذبه

وعشقي لروحك قبل
جسدك أنت ناظره
ونور وجنتيك حبي
في الأحزان لا تغرقه
وجمال عينيك
من همومه أنقذه
ورقة ثغرك وليل
شعرك أنظره
علّه يهنى بقربك
وبهاء وصلك وتسعده
ما كنت تقسو على قلب
ورقة قلبك ما يعهده
ألا تخرج من الأشواك
إلى بستان أنت ورده
وللصباح وللضياء
وللفجر أنت خده
فلا تضيع العمر
ومن حبيب عنك تبعده
يا حبيب للروح
ولقلب أنت تسكنه

ماذا جنى عاشق بك

وبهجرانك تمزقه

أيرضيك فكرا حارَ

أيرضيك قلبك وتحجره

أشكوك صدرا

ضاق تنهده

وأشكوك قلبا

بيديك تجرحه

وأشكوك ليلا

أنت تؤرّقه

يا نور الحياة عهدي

بك أنت تحفظه

فلِمَ البعاد وعشقي

لروحك أنت تدركه.

يجلس مع نفسه ويصفها مقارنة بأخريات، ويتذكر حروفها التي سحرت عينيه وقلبه وعقله وتعلقت روحه بروحها فينشد:

خرساء صماء

مميت هدوؤها

كدمية تحركها
يد مليكها
تواري خلف جبال
من الصمت جمالها
ومهما كبرت
يظل طفلا عقلها
وأخرى بحار
ومحيطات فكرها
يملأ دفاتر العقول
والقلوب كلامها
وتحتار السفن إن
أبحرت في لبّها
دوامات وأعاصير
وأمطار وعواصف شيمها
وإن توارت فبكلمة
يأسرك سحرها.

سأل أحد الأصدقاء فيما بينهم أن يعرف منها أسباب انقطاعها عنه، فكثيرا ما كان يحافظ على مشاعرها ويخشى أن يجرحها، فرد عليه بعد أن سألها بأنها ليست غاضبة منه وتتمنى له كُلّ خير، فانشد:

كنا لك طِبّا ودواء
فأصبح داؤك لنا داء
وأصبت بيديك من يديه
رسمت لك البسمة والسناء
وأحرقت قلب أعاد
لقلبك للحب نداء
وأجريت دمعا من عين
كانت لك نورا وضياء
وأسرت قلبا ونفسا
في أقفاص وعناء
وهجرت وأخذت
مفتاح الرجاء
أعاتب قلب عهدي به
الطهر والنقاء
ما كنت أظن يوما
أن الكرام أشحاء.

يشعر بحزن شديد ولا يدري سبب انقطاعها عنه، فيظل ينشد:

يا باكيا زمنا جميلا
كم من تلون في وادينا
وحطمنا الورد علنا

واتخذنا الحقد دينا
وزرعنا الشوك عندا
فجنينا ألما دفينا
فهل نفيق من غفلتنا
وللمحبة نمد أيدينا؟

ثُـمَّ عـادت إليـه ثانيـة، فلـما سـألها عـن سـبب انقطاعهـا أخبرتـه بأنهـا مـا زالـت في حالـة مشـاكل وضغـوط عليهـا، وينشـد:

يا نسيم الروح قولي
لمن تسكن في الحشى
لم يمت حب مَن
بها الفؤاد قد انتشى

هو: أشعر بأنك لا تهتمين بي، وأنني أفرض نفسي عليك، وأنك تكرهينني.
هـي: أكرهـك؟ ولمـاذا أحدثـك؟ لقـد علمـت عـلى يديـك أشـياء لم أكـن أعلمهـا مـن قبـل، فقـد كنـت بالنسـبة لى كنسـمة صيـف.
ثُمَّ تستأذنه في الرحيل.
وكان قد ترسخ في ذهنه أنها قالت تلك الكلمات من باب الصداقة فقط.

تمـر أيـام فيخبرهـا بأنهـا بالنسـبة إليـه كملكـة مـن عـالم غـير عالمـه، وأنـه يريـد أن يراهـا عـلى طبيعتهـا البشريـة، ويريدهـا أن تُوقِظـه مـن الحالـة التـي يمـر بهـا،

خاصة بعدما فقد الأمل في أن تكون له، بعدما شعر منها أنها تستمتع بآلامها ولا ترغب في تركها، فتضحك كثيرا وتعده بأنها من المحتمل أن تقابله اليوم، فيطير من السعادة وينتظرها، لكنها تعتذر له في نفس التوقيت الذي وعدته أن تقابله فيه، فيزداد حزنه وتسوء حالته.

ويسألها: ألا تدرين ما تفعليه بي؟

فتطلب منه أن يسامحها، فيجيبها بأنه لن يسامحها طيلة حياته، ثُمَّ يخبرها أنه فهم بأنه لم يعد في اهتماماتها، وأنه لا يحب أن يكون الأخير في اهتمامات أي شخص، فلم تجبه، مما زاد من سوء حالته وشعر بأنها كانت تقضب أوقات فراغها معه، خاصة في ظل سفر زوجها وابتعاده عنها، وشعر أيضا أنها طبيعية ولا تمر بأي حالة من حالات الحزن والاكتئاب، وفَقَدَ الثقة فيها، ثُمَّ أخبرها أن هذه هي المرة الأخيرة التي سيتحدث فيها إليها أيضا، لكنها لم تجبه وتجاهلته.

في ذلك اليوم توصّل إلى معرفة حقيقتها، وأنها ليست جنات التي ظل طيلة أوقاته يبحث عنها وعن اهتمامها وحنانها من جديد، وذلك من خلال ما رآه من صور لها مع زوجها وأطفالها وإخوتها ووالدها، وشعر أيضا بصدقها من خلال ما رآه من واقع وما حكت له عنه، ثُمَّ قرر الانسحاب من حياتها.

فلم تكن هي جنات التي افتقدها لسنوات طويلة وافتقد معها الحب والحنان والاهتمام وطعم الحياة.

الفصل الخامس والأخير

جنات

حدثي الليل الطويل
والقمر والنجوم عني
حدثي الورود والأزهار
والقصائد فسيخبرونك أني
ما زلت أحبك وأتنفس
هواك رغما عنك وعني
فلا تبتئسي وتذكري كلّ
لحظة الأشواق مني
وتكحلي بحروف من قلب
على البعاد لم يعنني.

عاد إلى بلدته وزار قبر والده وجدته وابنته سمر، وقام بري بعض أشجار الريحان على قبرهم، وقرأ الفاتحة على روحهم، ودعا لهم، ثُمّ انصرف إلى الساقية القديمة المهجورة، يحاول جاهدا إعادة تشغيلها، لكنها تأبى أن تخرج المياه، فيخرج سيل دموع من عينيه وهو يتذكر فراق أحبته؛ والده وجدته وابنته سمر وحبيبته جنات، ثُمّ انصرف، وجلس في غرفته فترة

طويلة يعتزل من اعتزلوه، ويعيش مع مشاعر الحزن والألم؛ حتى شعر بوخزة في صدره وإرهاق شديد، قرر بعدها الذهاب إلى الطبيب.

فطلب منه الطبيب إجراء بعض الأشعات والتحاليل، ثُمّ بعدها قام بتحويله إلى إحدى المستشفيات، وهناك فوجئ بالدكتورة جنات، زميلة دراسته وحبيبة قلبه التي دائما ما كان قلبه محتاجا إليها.

تردد ذكر اسمها أمامه، واضطرب قلبه كأول لقاء بينهما ونسي آلامه.

جارحي: دكتورة جنات.

وتغرورق عيناه.

جنات تنظر إليه وتقف لحظة تسرح فيها: جارحي!

جارحي: أيوه جارحي.

جنات: عامل إيه؟ ياه على الأيام!

جارحي: الحمد لله، تعرفي إنه مهما عدت الأيام وأنا لسه مش قادر أنسى حبك، وطول عمري كنت بحس إني مفتقد الحب والحنان والاهتمام اللى أخدتيه معاكى يوم ما بعدتي عني.

جنات: هتفهمني ولا لأ! ما ينفعش دلوقتي اللي بتفكر فيه.

جارحي: ليه؟

جنات: أيوه، الظروف اللي أنا فيها بتخليه ما ينفعش وما أقدرش.

جارحي: يعني لما كانت ظروفك تسمح ماكنتش ظروفي تسمح، ولما ظروفي بقت تسمح ألاقي ظروفك إنتي بقت ما بتسمحش! ياه على الدنيا.

جنات: أيوه طبعا، في حاجات كتيرة بتحكمنا، وأنا مش حرة.

جارحي: يعنى إنتي لما قولتي بحبك مكانش حب.

جنات: إنت مصر تتعبني، خلي اللي في القلب في القلب.

جنات: إنت ليه مش عايز تفهمني، أنا حاليا مش حرة، وفي حاجات كتير بقت تحكمني، وحياتي بقت غير، والولاد كبروا، والدنيا اتغيرت من حوالينا، وإحنا ظروفنا اتغيرت وكبرنا معاها، كُلّ اللى أقدر أقولهولك خلي اللي في القلب في القلب.

جارحي: خلاص خلي اللي في القلب في القلب، هي الدنيا كده، ما بتديش كُلّ حاجة.

جنات: إنت مكانتك زي ما هيا في قلبي، وليك في قلبي مكانة كبيرة وعالية، بس موضوع جواز مش هينفع، مش ده اللي بتفكر فيه وتقصده؟

جارحي: أيوه هو اللي بفكر فيه وبقصده. يبقى ماكنش حب.

جنات: إنت ليه عايز تربط الحب بالجواز؟ الحب له معاني كبيرة وأرقى من الجواز، وكل اللي عايزه أقولهولك إنك ليك في قلبي مكانة عالية، فهمتني؟.

جارحي: فهمتك. وده كفاية عليا.

ثُمَّ تستأذنه في الانصراف.

بعدها بعدة أيام توجه إلى الطبيب مرة أُخرى ومعه الأشعة والتحاليل، فأخبره الطبيب أنه لا بد أن يجري عملية جراحية في قلبه، وقام بتحويله إلى المستشفى التي تعمل بها الدكتورة جنات.

جنات: صباح الخير.

جارحي: صباح النور.

جنات: خير إن شاء الله؟ إيه كُلّ الفحوصات دى؟

يبدو أنها لم تنتبه لها في لقائهما الأول بالمستشفى، ونسي هو أن يخبرها بمرضه.

جارحي: كنت حاسس بشوية تعب، وعملت فحوصات، والدكتور حولني على هنا.

جنات: وريني كده؟

وأخذت الأشعة، تتفحصها، ثُمّ تبدو عليها ملامح الحزن.

جنات تحاول طمأنته:

ماتقلقش، إن شاء الله بسيطة. وتطلب منه دخول العيادة.

في العيادة توقع الكشف الطبي عليه، وتطلب منه عمل بعض التحاليل الأخرى، وتحاول طمأنته على حالته، وتطلب منه أن يهتم بصحته، وألا يفكر فيما يُحزِنه، ثُمّ خرج من عندها وقام بعمل الأشعة التي طلبتها منه، ثُمّ عاد إليها في اليوم التالي، فصارحته بأنه يحتاج لإجراء جراحة في القلب، وسترتب له ذلك مع الفريق الطبي، ثُمَّ حددت له بعد ذلك موعد العملية الجراحية.

قبل دخول غرفة العمليات

جارحي: دكتورة جنات.

الدكتورة جنات: نعم.

جارحي: قلبي هيكون في إيدك، هسلمهولك زي ما سلمتهولك زمان، والمرة الأولى خسرت حاجات كتير؛ تعليمي وعمري وسنيني اللي عشتها من غيرك لما بعدتي عني، والمرة دى يمكن أخسر باقي حياتي، لكني برضه هفضل أحبك وعمري ما هنساكي، وهتفضلي طول عمرك بتوحشيني لآخر دقة في قلبي.

فتسيل دموعها في صمت.

ثُمَّ يستعد لدخول غرفة العمليات، ويبدأ بعدها الفريق الطبي في إجراء العملية، فتتراجع الدكتورة جنات، فيطلب منها باقي الطاقم الطبي استكمال العملية معهم، فيشق صدره ويظهر قلبه، وتلامسه بيديها لتجعله يقوى على الحياة، ويعود إلى الحياة من جديد، فتسيل منه الدماء، ومعها تسيل في صمت دموع جنات.

قالت أحبك

فطاب الثمر

ذكراك والقلب

كلٌّ في سمر

يا حبيبة الروح

القلب لفراقك انفطر

وحبي لك كحب

الورود لحبات المطر

وحبي لك كحب

الفراشات للزهر

وحبي لك كحب

الليالي للقمر

كحب الطيور للهجرة

وقت السحر

كحب متيم

أضناه السهر

ويبقى حبك

إذا ما الكل هجر

علّنا يوما نلتقي

ويجمعنا قدر

وإن لَم نلتقِ وولّى

الزمان وعبر

فيك في أن طيفك

لامس قلبي لما إليه نظر

تم
بحمد الله

عن الدار ومشروع النشر الحر

لوتس للنشر الحر هي أول دار نشر حرة يملكها كل كاتب، تعتمد مبدأ النشر الحر من خلال مشروع طموح يهدف إلى تخطي عقبات النشر ومساعدة الكاتب للنشر بطريقة تمنحه الحرية الكاملة وكل الحقوق والصلاحيات للتعامل مع كتابه دون استغلاله مادياً أو معنوياً، ودون احتكار لمجهوده الفكري في عملية تجارية.

هي مشروع خدمي وليس تجاري، تدعم الكاتب الموهوب وتسانده، تحاول الارتقاء بمستوى الأدب وتهدف إلى احترام الكاتب والقارئ من خلال نشر كل ما هو جيد دون الإساءة لشخص، أو أشخاص، أو مؤسسات، أو أفكار، أو عقائد، أو ديانات، أو أنظمة سياسية.

إصدارات المشروع: 591

للتواصل مع الدار والمشروع

هاتف / واتسآب

+2 01091985809 +2 02 / / 37390893

الموقع الإلكتروني

www.lotusfreepub.com

البريد الإلكتروني

Lotusfreepub@gmail.com

lotusfreepub

دار لوتس للنشر الحر

مصرية مغربية، تأسست في مايو ٢٠١٧

أشجار الريحان
رواية
رفاعي العسيري

مشروع النشر الحر
الإصدار رقم: 591 أغسطس 2021
رقم الإيداع: 2021/21452
الترقيم الدولي: 978-977-85964-8-9

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف